تاريخ تعليم الطب
في البلاد العربية

أ.د/ مصطفى رجب
كلية التربية – جامعة سوهاج

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
دار الجديد للنشر والتوزيع

٦١٠.٧ رجب ، مصطفى .

ر . م تاريخ تعليم الطب في البلاد العربية / مصطفى رجب .– ط١.–
دسوق: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دار الجديد للنشر والتوزيع .
١٦٠ ص ؛ ١٧.٥ × ٢٤.٥سم .
تدمك : ٣ - ٦٧٦ – ٣٠٨ – ٩٧٧ – ٩٧٨
١. الطب– تعليم وتدريس
٢. الطب – تاريخ . أ – العنوان .

رقم الإيداع : ٥٢٠١ .

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة – بجوار البنك الأهلي المركز
هاتـف- فاكس : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ محمول : ٠٠٢٠١٢٧٧٥٥٤٧٢٥-٠٠٢٠١٢٨٥٩٣٢٥٥٣
E-mail: elelm_aleman٢٠١٦@hotmail.com & elelm_aleman@yahoo.com

الناشر : دار الجديد للنشر والتوزيع
تجزءة عزوز عبد الله رقم ٧١ زرالدة الجزائر
هاتف : ٢٤٣٠٨٢٧٨ (٠) ٠٠٢٠١٣
محمول ٦٦١٦٢٣٧٩٧ (٠) ٠٠٢٠١٣ & ٧٧٢١٣٦٣٧٧ (٠) ٠٠٢٠١٣
E-mail: dar_eldjadid@hotmail.com

محتوى الفهرس

مقـــدمة

يهتم هذا الكتاب بالتطور التاريخى لتعليم الطب فى الدول العربيـــة والإسلامية بصفة عامة اعتماداً على كتاب ابن أبى اصـــيبعة (ت٦٦٨هـــــ) المسمى «عيون الأنباء فى طبقات الأطباء» الذى يكتسب أهميته من كـــون مؤلفه نفسه كان طبيباً وابن طبيب ومارس الطب تعلماً وتعليماً وعاش فـــى أزهى مراحل النهضة العلمية العربية، إذ عاش معظم عمره فى عهد الدولة الأيوبية وشهد السنوات العشر الأولى من الدولة المملوكية، وكان ذا صلات عريضة بأطباء عمره، وقد سجل فى كتابه كثيراً من مظاهر التقـــدم الـــذى وصل إليه هذا العلم.

وإيماناً بأن دراسة التراث العلمى العربى- من الوجهة التربويـــة- ما تزال بحاجة إلى مزيد من الدراسات، اهتم الكاتب باستعراض مراحل تعليم الطب السبع التى تشبه مستويات دراسته حالياً من حيث الترتيب المنطقـــى للمعرفة العلمية، كما اهتم بتحليل طرق التدريس التـــى كانـــت مســـتخدمة واستعرض إلى جانب ذلك دور الترجمة من اللغات الأخرى فى تطوير التعليم الطبى.

ويرجو الكاتب أن تكون هذه السطور خطوة على طريق مزيد مـــن الجهود فى سبيل إثراء البحوث التربوية التاريخية فى مجال التراث العلمـــى العربى.

والله ولى التوفيق

أ.د/ مصطفى رجب

كلية التربية جامعة سوهاج صعيد مصر

المبحث الأول
حياة ابن أبى أصيبعة وعصره

حياة ابن أبى أصيبعة
وعصره

مقدمة:

يعد علم التاريخ من العلوم التى أثبت فيها العرب براعة كبيـــرة، فقد نما هذا العلم نموا سريعا منذ نشأته إلى نهايـــة القـــرن الســـادس الهجري لدرجة أن حاجى خليفة فى كتابه «كشف الظنون عن أســـامى الكتب والفنون» أشار إلى وجود حوالى ألـــف وثلاثمائـــة كتـــاب فـــى «التاريخ» فقط.

وقد درج علماء التاريخ على تصنيف مؤلفات مؤرخى العرب إلى نوعين:

الأول: التأريخ طبقاً لتسلسل الحوادث أو ما يعـــرف ب(الحوليـــات). وهو النظام الذى تذكر فيه السنة ثم ما حدث فيها من أحداث، وقد سار على هذا النمط:

- الطبرى (ت٣١٠هـــ) وهو أقدم المؤرخين العرب فى هذا اللون فى كتابه «تاريخ الأمم والملوك».
- الدينورى (توفى بين عامى ٢٨٢، ٢٩٠هـــ) فى كتابه: «الأخبـــار الطوال»، وقد قدم العلماء الطبرى عليه فى الأهمية مع أنه معاصر

له لأنه لم يكن فى دقة الطبرى من جهة ولأن كتابه ظل مفقودا إلـــى عهد قريب جدا فيما كان كتاب الطبرى مشهوراً ومتداولا.

- مسكويه (ت٤٢١هـــ) فى كتابه «تجارب الأمم».
- ابن الأثير (ت٦٣٠هـــ) فى كتابه «الكامل». وغيرهم.

الثانى: التأريخ الموضوعى: وفيه يتم التأريخ طبقا لموضوع واحـــد ويضم هذا النوع ما يلى:

❖ كتب الطبقات:

ويهتم مؤلفوها بذكر إعلام معينين فى مجال معين مرتبين حسب أهميتهم ومنها الكتب الخاصة برجال الحديث مثل «أســـد الغابـــة فـــى معرفة الصحابة» لابن حجر العسقلانى (ت ٨٥١هـــ) أو الصوفية مثل «طبقات الصوفية» لأبى عبد الرحمن السلمى (ت ٤١٢هـــ) أو «طبقات الفقهاء» أو «المفسرين» أو «الشعراء» أو طبقات رجال مذهب معـــين كطبقات الحنابلة أو الحنفية أو الشافعية.. الخ. وإلى هذا القسم ينتمـــى الكتاب الذى نحن بصدد دراسته فهو يتناول طبقات «الأطباء».

❖ كتب الأنساب:

وقد شجع الأمويون ظاهرة الاهتمام بالأنســـاب فانتشـــرت مـــن عهدهم هذه الظاهرة ثم ظهرت كتب متتالية تهتم بتفصيل أنساب العرب

الذين قطنوا فى بلاد مختلفة خارج الجزيرة مثل كتاب الهيثم بن عدى (ت٢٠٦ هـ) «تاريخ الأشراف الكبير» والزبير بن بكار (ت ٢٥٩) « نسب القرشيين» والبلاذرى (ت٢٧٩هـ) «أنساب الأشراف».. وغيرهم.

❖ كتب الفتوح:

ويهتم مؤلفوها بالتأريخ للفنون العسكرية التى قام بها العرب وهى إما عامة تشمل التأريخ لكل البلاد المفتوحة مثل كتاب البلاذرى: «فتوح البلدان»، وإما خاصة تتناول بلدا معينا مثل فتوح الشام للواقدى (ت٢٠٧هـ) «وفتوح مصر والمغرب» لابن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ) وغيرهما.

❖ كتب الرحلات:

وقد ألفها الرحالة العرب بهدف تسجيل ملاحظاتهم خلال رحلاتهم التى جابوا فيها الأقطار الأخرى. مثل كتاب اليعقوبى (ت٢٨٤هـ) المسمى «البلدان»، والمسعودى (ت٣٤٦هـ) «مروج الذهب ومعادن الجوهر»... الخ.

وهذه الكتب التى تعد مصادر التاريخ العربى بوجه عام تحتوى على معارف وأفكار متعددة تأتى فى سياق السرد التاريخى دون أن تكون مقصودة لذاتها.

فعلى سبيل المثال اتجهت دراسات حديثة فى الأدب العربى إلى دراسة كتب السيرة النبوية بوصفها مصدرا من مصادر دراسة الشعر العربى فى عصر من العصور. على الرغم من أن مؤلفى السيرة لم يكن هدفهم .

❖ أهمية البحث:

- عنها نقلا يضع هذا البحث لبنة فى محاولة دراسة جديدة لتاريخ التربية العربية من خلال تحليل المصادر التاريخية كل على حدة.
- يعتبر هذا البحث من المحاولات الأولى لوضع تاريخ مستقل لتعليم كل علم على حدة مما يثرى الدراسات التربوية التاريخية الموضوعية.
- يتصدى هذا البحث لأخطاء علمية وردت فى مادة (ابن أبى أصيبعة) فى دائرة المعارف الإسلامية. وفى مقالة كتبها د. عبد الصبور شاهين عنه وعن أثره التربوى.
- يفتح هذا البحث الباب أمام دراسات موازية ومقارنة مماثلة بالنسبة لتعليم الطب أو غيره من العلوم.

• وتعد دراسة عبد الصبور شاهين(١). هى الدراسة الوحيدة- فى حدود علم الكاتب - التى تناولت شخصية ابن أبى أصبيعة. وأثره التربوى وشعره وتقع فى سبع عشرة صفحة. ومن قراءتها اتضح للباحث ما يلى:

• أن شاهين لم يتعد مقدمة «عيون الأنباء» الذى يقع فى ثمان وستين وسبعمائة (٧٦٨) صفحة من القطع الكبير إلا قليلا جدا.

• أنه وضع عنوانا هو «منهج ابن أبى أصيبعة» واكتفى تحت هذا العنوان بنقل فهرس الكتاب من مقدمة مؤلفه التى نقل منها جزءا أيضاً.

• أنه كرس ثلاث صفحات من صفحاته السبع عشرة لدراسة شعر ابن أبى أصيبعة مع عدم حاجة مقالته إلى هذا. فضلا عما اتخم به بقية الصفحات من استشهادات شعرية كانت تطول أحيانا.

• والأهم من هذا كله أنه تابع دائرة المعارف الإسلامية ونقل دون أن يجشم نفسه مشقة البحث فكرر بذلك أخطاء المستشرقين الذين كتبوا الدائرة.

---

(١) عبد الصبور شاهين: "ابن أبى أصيبعة. تاريخه وأثره التربوى". في الجزء الثالث من سلسلة "أعلام التربية العربية الإسلامية". (الرياض: مكتب التربية العربى لدول الخليج، ١٩٨٨)، ص ٢٢٧-٢٤٤..

وسوف يتضح تفصيل هذه النقاط فيما يلى: حسب مسيرة البحث.

❖ أولاً: حياة ابن أبى أصيبعة وعصرة:

إن المعلومات التاريخية المتاحة عن شخصية ابن أبى أصيبعة وحياته بالغة الندرة. ولولا أنه كان يستطرد من حين لآخر فى ثنايا ترجماته لبعض معاصريه، فيذكر بعض المعلومات عن نفسه، لولا ذلك لتعذر معرفة الكثير مما هو معروف عنه حاليا.

وربما كانت ندرة المعلومات حول حياته، هو السبب وراء إحجام الكثيرين ممن أرخوا له أو تناولوا شخصيته عن إبراز صورة متكاملة لتطورات حياته.

❖ ثانيا:مصادر دراسته التى اعتمد عليها البحث الحالى:

وفى سبيل رسم صورة أقرب ما تكون إلى واقع حياة ابن أبى أصيبعة فإن الباحث استقرا المصادر التى أتيحت له وعكف عليها تحليلا ومقارنة ونقدا حتى استطاع رسم صورة تطورات حياته على النحو الذى سيرد بعد قليل مشيرا فى ثنايا ذلك إلى بعض ما وقع فيه من أرخوا له من أخطاء. وهذه المصادر هى: (مرتبة ترتيبا زمنيا من الأقدم إلى الأحدث):

كتابه موضوع الدراسة[1].

- وفيات الأعيان لابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١هـ[2].
- البداية والنهاية لابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ[3].
- النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤هـ[4].
- شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى المتوفى سنة ١٠٨٩هـ[5].
- دائرة المعارف الإسلامية لمجموعة من المستشرقين[6].

وتجدر الإشارة إلى أن الباحث اعتبر دائما أن ما ذكره ابن أبى أصيبعة عن نفسه فى ثنايا كتابه أكثر مصداقية مما رواه عنه من أرخوا له، كما اعتبر أن ابن خلكان أكثر مصداقية ممن جاءوا بعده لأنه كان معاصرا له كما أشار فى ثنايا كتابه الشهير «وفيات الأعيان».

(١) ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء. تحقيق نزار رضا. بيروت: دارت مكتبة الحياة .د.ت (صفحات متفرقة).

(٢) ابن خلكان، وفيات الاعيان وأبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، بيروت: دار صادر. د.ت. المجلد السادس، ص٢٦٨.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ط ٦ مجلد ١٣ (بيروت: مكتبة المعارف)

(٤) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، المجلد السابع، (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، د.ت)، ص٢٢٩.

(٥) ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، جـ٥، (بيروت، دار الفكر، د.ت)، ص٢٣٢٧.

(٦) جماعة من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية، م١، ترجمة إبراهيم زكى خورشيد وآخرين (القاهرة: دار الشعب، د.ت)، ص ص ١٩٦-١٩٨.

عصر ابن أبى أصيبعة:

كانت مصر قد خضعت عمليا لسيطرة صلاح الدين الأيوبى منذ عام ٥٦٤ هـ على الرغم من وجود العاضد الخليفة الفاطمى المريض، إلا أن صلاح الدين أسقط الدعاء للخليفة الفاطمى ابتداء من سنة ٥٦٧هـ معلنا بذلك قيام الدولة الأيوبية فى مصر فقط.

ثم عالج علاقاته بنور الدين زنكى حاكم الشام بالدبلوماسية لأن مصر كانت فى الواقع تابعة لمملكته كما كان صلاح الدين أحد قواده واستمر ذلك حتى وفاة نور الدين سنة ٥٦٩هـ وتنازع خلفاؤه ملك الشام حتى ضعفوا مما هيأ لصلاح الدين الفرصة للسير إلى الشام وإخضاعه لنفوذه ثم استولى بعد ذلك على سواحل شمال أفريقية حتى مدينة قابس فى تونس، ووطد ملكه فى بلاد النوبة والسودان ثم دانت له اليمن والحجاز.

وتعد فترة حكم صلاح الدين من (٥٦٧- ٥٨٩هـ حيث توفى) هى العصر الذهبى للحكم الأيوبى وبوفاته تقطعت مملكته.

- فقد تولى ابنه الأفضل السلطنة العامة إلى جانب حكمه لدمشق وجنوب سورية.
- وتولى ابنه العزيز حكم مصر.

- وتولى ابنه الظاهر حكم حلب.
- وتولى أخوه العادل العراق.
- وتولى آخرون من أقاربه حماه، وحمص، وبعلبك، واليمن.

وفيما بعد توسع أخوه الملك العادل على حساب الآخرين فضم إلى ملكه ملك دمشق سنة ٥٩٢هـ ثم مصر سنة ٥٩٦هـ وظلت حلب حتى سنة ٦٥٨هـ خاضعة لذرية صلاح الدين.

وبعد أن سقطت مصر فى يد الملك العادل ووفاة الملك الأفضل حاكم دمشق، عادت مصر لتصبح من جديد هى مقر الزعامة العامة للحكم الأيوبى حتى سنة ٦٤٨هـ حين بدأ المماليك الذين كانوا قد كثروا فى مصر وتوطدت مراكزهم، يتطلعون إلى الحكم وتم لهم ذلك بقتل توران شاه سنة ٦٤٨هـ وتولى شجرة الدر.

وباستيلاء المماليك على مصر انفصلت دمشق عنها وأصبحت تابعة لحاكم حلب حتى سنة ٦٥٨هـ حين اكتسحها المغول الذين تمكن المماليك من القضاء عليهم فى معركة عين جالوت. وبذلك عادت حلب ودمشق مرة ثانية تحت حكم الدولة المملوكية فى مصر.

وقد جرى حكم المماليك على ما كان يجرى عليهم حكم الأيوبيين من نظام التوريث فكان كل حاكم يوصى لوريثه الشرعى بالحكم من بعده غير أن الانقلابات المستمرة لم تكن تهيئ للوريث الفرصة للحكم وبخاصة إذا كان غلاما حدثا.

وقد طالت فترة حكم المماليك من عام ٥٤٨ هـ حتى عام ٩٢٢هـ وتقسم عادة إلى مرحلتين:

- ❖ مرحلة حكم المماليك البحرية من عام ٦٤٨- ٧٨٣هـ وحكم مصر خلالها خمسة وعشرون سلطانا معظمهم من الأتراك.
- ❖ مرحلة حكم المماليك البرجيه (٧٨٤- ٩٢٢هـ) حكم مصر خلالها أربعة وعشرون سلطانا معظمهم من الشراكسة.

وإذا كان ابن أبى أصيبعة قد عاش خلال المدة من ٥٩٥ هـ إلى ٦٦٨هـ تقريبا فإنه يكون قد عاصر الدولتين: الأيوبية الذابلة والمملوكية الناشئة، وشهد أوائل حكم الظاهر بيبرس.

الأوضاع الثقافية والتعليمية: [*]

ورث الأيوبيون النهضة العلمية عن أسلافهم الفاطميين الذين بنوا الجامع الأزهر وبنوا بجواره مساكن للفقهاء لأسباب دينية تتعلق بالدعوة لمذهبهم الشيعى.

ويرى سعيد إسماعيل على أن انتشار المدارس فى عهد الأيوبيين- بالرغم من اتهامهم بالتوسع فيها لنشر مذهبهم السنى وتقويض المذهب الشيعى- كان ذا دلالة واضحة على مدى الازدهار الفكرى والثقافى العام.

فقد اشتهر الحكام الأيوبيون بأنهم هم أنفسهم كانوا علماء وحريصين على أن يكون لكل منهم مجلس علم وأدب وكان منهم الشعراء والمتبحرون فى الفقه والبلاغة والحديث.

(*) تم الاعتماد فى كتابة هذه الفقرات على:
أ- المصادر المشار إليها آنفا.
ب- المراجع الحديثة التالية:
١- سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٢م) ص ص ١١٧- ١٢٤.
٢- شوقى ضيف، عصر الدول والامارات (مصر والشام)، سلسلة تاريخ الأدب العربى (٦) (القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٤) (صفحات متفرقة).
٣- أحمد أحمد بدوى، الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٧٢م) صفحات متفرقة).
٤- أحمد أحمد بدوى، الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية، ط٨ (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٧٩)، ص.٢١
٥- ٥- سعيد إسماعيل على، تاريخ التربية والتعليم فى مصر (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٥)، ص ص ٢٤٦-٢٥٦.

وقد بدأت النهضة التعليمية على يدى صلاح الدين الأيوبى الـــذى أنشأ مدرستين فى عهد الخليفة العاض الفاطمى ولما استتب له الأمـــر أنشأ ثلاثا آخر فصار عدد المدارس التى أنشأها صلاح الـــدين خمـــس مدارس.

وقد حاكى سلاطين الأيوبيين- ومن بعدهم ســـلاطين المماليـــك- صلاح الدين فى بناء المدارس. ولا يخفى علينا أن المدارس التى كانت تدرس فيها العلوم الدينية لذلك قصد السلاطين بتأسيسها التقرب إلـــى الله وكسب الثواب.

ومن أهم هذه المدارس المدرسة الكاملية التى أنشأها الســـلطان الكامل سنة ٦٢١هـ (١٢٢٤م)، والمدرسة الصـــالحية التـــى بناهـــا الصالح نجم الدين أيوب ســـنة ٦٣٩هــــ (١٢٤١م). وكانـــت هـــذه المدرسة الأخيرة أول مدرسة تجمع بين مذاهب السنة الأربعة.

وكان يقوم بالتدريس فى المدرسة مدرس أو أكثـــر يختـــار مـــن مشايخ علماء عصره، وأوسعهم علما، وأبعدهم صيتا لأنه على أساس مكانته وشهرته تتوقف سمعة المدرسة وأهميتها.

ويساعد المدرس عادة معيد، وظيفته أن يعيد على الطلبة ما ألقاه عليهم المدرس، فهو أكبر منهم درجة، ويجلس معهم ليستمع إلى ما

يعطيه المدرس، وبعد ذلك يرجع إلى الطلاب لشرح ما قد يكـــون قد صعب عليهم فهمه.

ومنذ العهد الأيوبى أصبح منصب المعيد مرموقا، وقل أن خلـــت منه مدرسة من المدارس التى أنشئت فى ذلك العصر، فقد عين صلاح الدين معيدين بالمدرسة الناصرية، كما عين الصالح نجم الدين معيدين اثنين لكل واحد من المدرسين الأربعة فى مدرسته، واعتمد التـــدريس عادة فى ذلك العصر على الإلقـــاء والتلقـــين والإمـــلاء وربمـــا دارت مناقشات علمية بين المدرس وطلابه.

والمعروف أن المدارس ومعاهد التعليم العالى لابد لها من مكتبات ضخمة يرجع إليها المدرسون والطلاب، ويعتمدون عليها فى التحصيل والاستزادة، لذلك عنى الأيوبيون عناية كبيرة بالمكتبات، فنسمع عـــن نور الدين محمود أنه خصص لمدرسته فى دمشق كتبا كثيرة ليرجـــع إليها طلاب العلم.

وقد استمرت هذه النهضة فى عصر المماليك على الـــرغم مـــن أصولهم غير العربية وخير ما يدل على ازدهار الحياة العلمية فى عصر المماليك، هو عصر الثروة العلمية التى وصلتنا من ذلك العصر بالذات.

وما زالت دور الكتب فى جميع أنحاء العالم مشحونة بمئات المخطوطات التى ترجع إلى عصر سلاطين المماليك بمصر، والتى تناولت معظم ألوان المعرفة: الأدب والتاريخ والجغرافيا والعلوم الدينية والطب والفلاحة والأدب والمعارف العامة.. وغيرها.

ففى الأدب عرف عن سلاطين المماليك تقريبهم الأدباء، وقد اشتهر من شعراء مصر فى ذلك العصر البوصيرى المصرى صاحب البردة وتعرف باسم «الكواكب الدرية» فى مدح خير البرية، وهى فى ٦٢ بيتا، وقد توفى سنة ٦٩٥هـ.

وتوفى فى هذه السنة سراج الدين الوراق وكان شاعرا كثير النظم صحيح المعانى عذب التورية وشهاب الدين العزازى المتوفى سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠م)، وهناك ابن نباته المصرى المتوفى سنة ٧٦٨ هـ (١٣٦٧م) وقد نبغ فى النظم والنثر، ومثله ابن أبى حجلة نزيل القاهرة الذى توفى سنة ٧٧٦هـ (١٣٧٤م) ومن شعراء ذلك العصر من يرجع إلى أصل مماليكى مثل على بن سودون البشغاوى المتوفى سنة ٨٧٨هـ (١٤٧٣م). بل لقد كان السلطان قانصوه الغورى نفسه المتوفى سنة ٩٢٢هـ ١٥١٦م) شاعرا، وله ديوان غير منشور.

أما الأدباء الذين اشتغلوا بالنثر فهم عديدون، منهم القلقشندى المتوفى سنة ٨٢١هـ (١٤١٨م) وله كتب عديدة أهمها موسوعة «صبح الأعشى فى صناعة الإنشا» وشمس الدين النواجى المتوفى سنة ٨٥٩هـ (١٤٥٥م)، وقد نسب إلى نواج إحدى قرى الغربية، وله كثير من الآثار الأدبية.

وفى ذلك العصر كثر الاشتغال باللغة وعلومها، وظهر من علماء اللغة كثيرون، على رأسهم ابن منظور المصرى المتوفى سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م) وله كثير من المؤلفات، على رأسها "لسان العرب"، المعجم الشهير، كذلك اشتهر من علماء اللغة ابن هشام المصرى المتوفى سنة ٧٦١هـ(١٣٦٠م) والدمامينى السكندرى المتوفى سنة ٨٢٧هـ (١٤٢٤م).

على أن أبرز العلوم فى عصر سلاطين المماليك كان بحق علم التاريخ، إذ ظهر فيه طائفة كبيرة من المؤرخين تركوا لنا تراثا ضخما، منهم من أصحاب السير ابن عبد الظاهر المتوفى سنة ٦٩٢ هـ (١٢٩٣م)، وقد كتب كتابا فى سيرة السلطان الظاهر بيبرس وآخر فى سيرة الأشرف خليل بن قلاون.

وهناك أيضا من كتاب السير ابن سيد الناس المتوفى سنة ٧٣٤هـ (١٢٣٤م) والقسطلانى المتوفى سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧م) وغيرهم كثيرون.

ولم يقف الأمر عند حد النشاط فى كتابة السير الفردية بل ظهر فى عصر المماليك جماعة من المؤرخين وجهوا نشاطهم نحو تأليف كتب الطبقات مثل ابن خلكان صاحب وفيات الأعيان، وقد توفى سنة ٦٨١هـ (١٢٨٢م)، والأدفوى المتوفى سنة ٧٤٨هـ (١٣٤٧م) صاحب كتاب الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد، وابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢هـ (١٤٤٨م)، صاحب كتاب الدور الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، وشمس الدين السخاوى المتوفى سنة ٩٥٢هـ (١٤٩٧م) صاحب كتاب الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع، والسبكى صاحب كتاب طبقات الشافعية.

وهناك فريق من مؤرخى ذلك العصر اختاروا أن يؤلفوا كتبا عن بلد معين أو دولة بعينها مثل جمال الدين بن واصل المتوفى سنة ٦٩٧هـ (١٩٢٨م) صاحب كتاب مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، وابن دقماق المصرى المتوفى سنة ٨٠٩هـ (١٤٠٦م) صاحب كتاب نزهة الأنام وكتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار، وتقى الدين

المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥هـ (١٤٤١م) صاحب كتاب المواعظ والاعتبار وكتاب السلوك، وأبو المحاسن يوسف ابن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤هـ (١٤٦٩م) وهو من أصل مماليكى ومن كتبه النجوم الزاهرة والمنهل الصافى.. وغيرهم كثيرون.

أما أصحاب التواريخ العامة فلا يقلون عددا، منهم بيبرس المنصورى وهو أحد أمراء المماليك توفى سنة ٧٢٥هـ (١٣٢٥م) وله كتاب زيدة الفكر، وبدر الدين العينى المتوفى سنة ٨٥٥هـ (١٤٥١م) وله كتاب عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان وغيرهما خارج مصر كثيرون.

أما فى علوم الجغرافيا والسياسة والإدارة فقد كتب شرف الدين بن الجيعان سنة ٧٧٧هـ (١٣٧٥م) كتاب التحفة السنية فى أسماء البلاد المصرية ويشتمل على إحصاءات إدارية وخراجية عن أرض مصر. وكذلك كتب نجم الدين أحمد بن الرمقة المصرى الشافعى- محتسب القاهرة المتوفى سنة ٧١٠هـ كتاب «بذل النصائح الشرعية فيما على السلطان وولاة الأمور وسائر الرعية» وغيره كثيرون.

ومما سبق يمكن القول أن مرحلتى الأيوبيين والمماليك هما بحق مرحلتا ازدهار ثقافى وفكرى فى تاريخ مصر الوسيط فى شتى المجالات.

وحتى نتبين أهمية كتاب ابن أبى أصيبعة الذى نحن بصدد دراسته لابد من الإشارة بشكل أكثر تفصيلا إلى دراسة الطب فى هاتين الحقبتين من التاريخ المصرى.

أوضاع تعليم الطب في عصر ابن أبى أصيبعة إجمالا:

لم تكن المدارس وحدها هى مظهر رقى الحياة الثقافية والعلمية فى عصرى الأيوبيين والمماليك. بل كانت البيمارستانات- كما تسمى أحيانا- إحدى دلائل تلك النهضة وذلك الرقى.

وكانت البيمارستانات(*) قد أنشئت لأول مرة فى عهد أحمد بن طولون فى مصر عام ٢٦١هـ. كما يذكر المقريزى فى خططه(١).

وقد أنفق على إنشائه ٦٠٠٠٠ (ستين ألف دينار) وكان به قسم للمجانين، وحمامان: أحدهما للرجال والثانى للنساء. وكان ابن طولون يتفقده فى كل يوم جمعه.

(*) المارستان هى تخفيف كلمة "بيمارستان" وهى كلمة فارسية معناها المستشفى مكونة من مقاطع: "بى" = بدون، "مار"= الحياة أو الحيوية، "ستان"= أرض أو مكان. فالمعنى الحرفى للكلمة هو: مكان غير الأصحاء، وكانت تطلق قديماً على أى مستشفى ثم صارت مقصورة على مستشفى المجاذيب.

(١) المقريزى، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جـ٤ (القاهرة: مكتبة النيل، ١٣٢٤هـ)، ص٢٥٧.

وقد ذكر ابن أبى أصيبعة من أطباء هذه البيارستان وأساتذته:

- إبراهيم بن عيسى.
- الحسن بن زيرك.
- سعيد بن توفيل.
- طبيب العيون: خلف الطولونى.

كما ذكر الأطباء الذين عملوا فى هذا البيمارستان على عهد الإخشيدين الذين جاءوا بعد الطولونيين والذين أضافوا بدورهم بيمارستان جديدا.

وتموج القاهرة بالأطباء منذ عصر المعز أول الخلفاء الفاطميين بمصر، ومن أطبائه موسى بن العازار الجراح اليهودى، ومن أطبائه وأطباء ابنه العزيز أبو عبد الله التميمى المقدسى وأحمد بن محمد البلدى وأبو سهل كيسان بن عثمان وأعين بن أعين ومنصور بن مقشر.

ويخلف العزيز ابنه الحاكم ويتكاثر الأطباء فى عهده من مثل إسحق بن إبراهيم بن نسطاس وماسوية وكان طبيبا وصيدلانيا وطبيب العيون أبى القاسم عمار بن على وله المنتخب فى علاج أمراض العين.

ومن أهم الأطباء حينئذ ابن رضوان المتوفى سنة ٤٥٣هـ، وجعله الحاكم رئيسا على جميع الأطباء، وظل فى هذه الوظيفة نحو خمسين عاما، ودوت شهرته فى العالم العربى مما جعل علماؤه يكاتبونه ويرحل بعضهم إليه لمناظرته فى مسائل الطب، وممن رحل إليه من بغداد طبيبها ابن بطلان كما مر بنا فى حديثنا عنه فى الجزء الخامس من هذه السلسلة، ويقول ابن أبى أصيبعة موازنا بينهما: «كان ابن بطلان أعذب لفظا وأكثر ظرفا وأميز فى الأدب وما يتعلق به، وكان ابن رضوان أطب وأعلم بالعلوم الحكمية وما يتعلق بها» .

وقد ترجم شرحه لكتاب جالينوس فى الطب إلى اللاتينية، ونشر مرارا شرحه للمقالات الأربع لبطليموس فى علم الهيئة والفلك.

وتنشط صناعة الطب فى مصر بفضل ابن رضوان وتلاميذه، وأيضاً بفضل دار العلم فقد كان الطب يدرس فيها، إذ يذكر المقريزى فى حديثه عنها أن الحاكم أحضر منها فى سنة ٤٠٣ جماعة من الأطباء وكذلك من أهل المنطق للمناظرة بين يديه.

وقد يكون فى ذلك مما يدل على أن المنطق كان يدرس بها وهو ما يتصل به فى الفلسفة، ومن الأطباء الذين عاصروا ابن رضوان على بن سليمان، وكان فى أيام العزيز والحاكم والظاهر، وكان متقناً للطب

والفلسفة والعلوم الرياضية، وله فى الفلسفة والطب كتب مختلفة.

وممن خلفوا ابن رضوان تلميذه افرائيم بن الحسن اليهودى، وقد حصل من المستنصر وأبنائه على أموال كثيرة، وكان شغوفا بالكتب الطبية والفلسفية وغيرها، وكانت لديه منها خزانة كبيرة، واشتهر بأنه كان عنده دائما نساخ يكتبون له ما يريد من الكتب، وهم يحملها إلى العراق، وبلغ ذلك الأفضل بن بدر الجمالى فى أيام وزارته، فبعث إليه بالمال الذى اتفق مع العراقى عليه حتى لا تخرج هذه الكتب من مصر.

ويقولون أنه حولها إلى مكتبته الخاصة وكانت تشتمل على خمسمائة ألف مجلد.

ومن تلاميذ افرائيم سلامة بن رحمون الطبيب، ويقول ابن أبى أصيبعة أنه نصب نفسه لتدريس كتب المنطق والفلسفة الطبيعية والهيئة.

ثم جاءت الدولة الأيوبية التى ولد ابن أبى أصيبعة فى عهدها وعاش عمره يخدم ملوكها وأمراءها وأرخ فى كتابه لهم ولتعليم الطب فى عهودهم المختلفة.

وكان الأيوبيون يهتمون بالطب والأطباء منذ صلاح الدين. وقد بدأ هذا الاهتمام باتخاذه مارستانا ضخما فى القاهرة وفيه يقول ابن جبير: "مما شاهدناه بالقاهرة من مفاخر السلطان صلاح الدين المارستان وهو قصر من القصور الرائعة حسنا واتساعا" ويذكر أنه عين له قيما وضع لديه خزائن العقاقير.

ويقول أنه وضعت فى مقاصر ذلك القصر أسرة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسوة.

وبين يدى القيم خدمة يتكلفون بتفقد أحوال المرضى بكرة وعشيا ويقدمون لهم ما يلزمهم من الأغذية والأدوية.

ويذكر أن بالمارستان قسما خاصا بالمرضى من النساء ومعهن من الخدم من يتكفل بحاجاتهن.

وقسما خاصا بالمجالين على مقاصيره شبابيك الحديد.

ويقول ابن جبير أن بالفسطاط مارستانا آخر على مثال ذلك الرسم بعينه. وطبيعى أن يحتاج المارستانان إلى كثير من الأطباء.

ولابد أن نلاحظ أن المارستان فى القاهرة فى تلك الأيام كان دائما مدرسة للطب. كما كان مستشفى. فى تلك الأيام ويكثر الأطباء فى ذلك العصر.

وأول من يلقانا منهم الشيخ السيديد ابن المنصور عبد الله الــذى خدم الخلفاء الفاطميين ثم صلاح الدين وطالت حياته حتى ســنة ٩٢٥ وكان رئيساً على سائر المتطببين بمصر حتى وفاته، وعاصرته طائفة من الأطباء اليهود مثل ابن جميع وكان له مجلس لمن يشتغلون عليــه بصناعة الطب، ومثل الموفق ابن شوعه المتوفى ســنة ٥٧٩ وأبــى البيان بن المدور المتوفى سنة ٥٨٠هـــ وأبى الناقــد الكحــال طبيــب العيون المتوفى سنة ٥٨٤هـــ وموسى بــن ميمــون المتــوفى ســنة ٦٠١هـــ وتكاثر الأطباء المصريون فى عهد صلاح الدين وبعده مثــل أبى البركات بن القضاعى المتوفى سنة ٥٩٨هـــ وجمال الدين ابن أبى الحوافز القيس وقد ولاه السلطان عثمان بن صــلاح الــدين رياســة الأطباء بعد الشيخ السديد وظل فى هذه الوظيفة حتى عهــد الكامــل. وكان ابنه فتح الدين أحمد ماهرا فى الرمد وطب العيون.

وولى أحيانا رئاسة الأطباء، ومن رؤساء الأطباء لعهد الكامــل نفيس الدين بن الزبير المتوفى سنة ٦٣٦هـــ ويقول ابن أبى أصــيبعة أن أولاده مقيمون فى القاهرة ومشهورون بصناعة الكحل ومتميــزون فى علمها وعملها.

ويستمر ابن أبى أصيبعة فى ذكــر الأطبــاء المصــريين لعهــد الأيوبيين.

ويختم تراجمهم بترجمة لابن البيطار المالقى الأندلسى المولد المتوفى سنة ٦٤٦ وقد بارح موطنه فى العشرين من عمره وجاب بلاد المغرب دارسا لما فيها من نباتات.

وألقى عصاه بمصر فجعله السلطان الكامل رئيسا على جميع العشابين، وهو بحق إمام النباتيين لزمنه.

وقد سافر إلى بلاد الروم والإغريق والشام دارسا لأنواع النبات، وقرأ ما كتبه ديسقور يدرس وغيره من النباتيين.

وهو بحق يعد أعظم الصيدلانيين قاطبه قبل العصر الحديث، وله كتابان: كتاب الجامع فى الأدوية المفرده وبه أكثر من ١٤٠٠ دواء منها ثلاثمائة لم يتناولها صيدلى قبله.

وله فى نفس الموضوع كتاب ثان هو المغنى فى الأدوية المفرده، وقد قدم الكتابين للسلطان الصالح نجم الدين أيوب.

واستمرت النهضة فى مجال الطب وتعليمه أيام المماليك الذين اشتهر من ملوكهم الأوائل الظاهر بيبرس الذى خدمه ابن أبى أصيبعة ودعا له فى كتابه بتخليد ملكه.

وما يلبث أن يلى السلطنة بعد بيبرس المنصور قــلاون (٧٦٨-٦٨٩هــ) فينشئ بيمارستانا ضخما يقول فيه ابن تغرى بردى: «وهذا البيمارستان وأوقافه وما شرطه قلاوون فيه لم يسبقه إلى ذلــك أحــد قديما ولا حديثا شرقا ولا غربا» وقد جعلــه أقســاما كبيــرة: قســما للمرضى بالحميات، وقسما للرمد ومرضاه، وقسما للجرحــى، وقســما لمن به إسهال، وجعل فيه فراشين لخدمة الرجــال وفراشــات لخدمــة النساء ونصب فيه الأسرة للمرضى وأمدها بكل ما تحتــاج إليــه مــن فرش، وأهم من ذلك كله أنه جعل فيه قاعة لرئيس أطبائه، كى يلقــى فيها دروسه على طلاب الطب، وبذلك كان المارستان مستشفى وكليــة طب معا، وقد شاهده ابن بطوطه بعد وفاة قلاوون بنحو أربعين عامــا سنة ٧٢٧هــ للهجرة فقال: «أما المارستان عند قبر قلاوون فيعجــز الواصف عن محاسنه.

وقد أعد فيه من المرافق والأدوية مــا لا يحصــر»، ويــذكر أن مجباه (نفقاته) كان ألف دينار كل يوم".

وأنشئت فى عهد قلاوون بجانب كلية الطب التى كانــت ملحقــة بمارستانه مدرسة للطب سميت المدرسة المهذبية نسبة إلى منشــئتها الطبيب مهذب الدين محمد بن أبى حليقة المار ذكره فى عهد بيبرس.

وكان قد خدمه مع أبيه وأسلم فى أيامه وسمى محمدا.

ويقول ابن أبى أصيبعة: مولده سنة ٦٢٠هـ وأنه قرأ على أبيه الصناعة الطبية وصور أقسامها الكلية والجزئية وحصل معانيها العلمية والعملية".. وبلغ من ازدهار دراسة الطب حينئذ أنه كان يدرس فى المساجد الجامعة، إذ اتخذ السلطان لاجين (٦٩٦- ٦٩٧هـ) يعمر جامع ابن طولون.

ويرتب فيه دروسا منظمة: للفقه على المذاهب الأربعة ودرسا للحديث النبوى، وبجانب ذلك يرتب فيها درسا للطب. وممن درسوا فيه بعد زمنه فى القرن الثامن الطبيب شمس الدين محمد بن عبد الله ابن عبد الرحمن المصرى المتوفى سنة ٧٧٦هـ.

ويكفى لبيان ازدهار دراسة الطب حينئذ أن تنتج مصر شيخ الأطباء لزمنه علاء الدين على بن أبى الحزم المعروف باسم ابن النفيس العلامة فى فنه الذى لم يكن فى زمنه ومن يضاهيه فى الطب والعلاج والعلم، كما يقول ابن تغرى بردى،ويكفيه فخراً ما ذكره الدوميلى وغيره من الغربيين من أنه اكتشف لأول مرة الدورة الدموية الثانية، مسجلاً بذلك كشفاً طبياً خطيراً لم يستطع الأطباء منذ جالينوس

إلى زمنه اكتشافه، ومن كتبه «الشامل فى الكب» و«المهذب فى الكحل» وشرح القانون فى الطب لابن سينا.

وقد توفى سنة ٦٨٧ هـ بعد أن أوقف داره وأملاكه وجميع ما يتعلق به على مارستان قلاوون الذى كان يعمل به رئيسا لاطبائه، وولى رئاسة الأطباء بعده مهذب الدين بن أبى حليقة، ويسرد السيوطى فى حسن المحاضرة أسماء طائفة من الأطباء فى القرن الثامن الهجرى.

ومن الأطباء الذين لم يذكرهم محمد بن الأكفانى المتوفى سنة ٧٤٩هـ ويبدو أن تخصصه الأكبر كان فى طب العيون، ومن مصنفاته فى الرمد «كشف الغين فى أحوال العين» وله كتاب فى الطب المنزلى سماه «غيبة اللبيب» وكتاب فى القصد سماه «نهاية القصد» وكتاب فى الأحجار النفسية سماه «نخب الذخائر» ومن كتبه:«ارشاد القاصد إلى أسنى المقاصد»(*). وهو مختصر جامع لفنون شتى تبلغ ستين فنا.

وظهر بعده صدقة بن إبراهيم الشاذلى. ويغلب أن يكون تلميذه إذ هو من أطباء النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى المقابل للقرن الرابع عشر الميلادى.

(*) حققه الباحث ودرس فكره التربوى من خلاله ونشره عام ١٩٨٩ فى مجلة كلية التربية بسوهاج.

ومما يدل على شهرة مصر لأيام المماليك فى الطب والأطباء ما يذكره ابن إياس فى كتابه بدائع الزهور من أن السلطان بايزيد العثمانى أرسل فى سنة ٧٩٥ رسولا إلى السلطان برقوق يسأله أن يبعث إليه بطبيب مختص بأمراض المفاصل فأرسل إليه رئيس الأطباء ابن صغير ومعه أدوية كثيرة لعلاجه، ويظل هذا النشاط الطبى فى مصر حتى نهاية زمن المماليك.

وكانت أهم وظيفة فى البيمارستان وظيفة «الناظر» أو «رئيس الأطباء» الذى كان يصدر بتعيينه مرسوم سلطانى يحدد له فيه مهامه الوظيفة وأهمها:

- تفقد أحوال المرضى والتأكد من تمتع الفقراء بالعلاج المجانى.
- مراقبة الأطباء أثناء عملهم وتفقد انضباطهم.
- مجازاة المخطئ من الأطباء والحفاظ على أخلاقيات المهنة.
- الإشراف على الفنيين والإداريين العاملين بالمستشفى.
- مراقبة نظم التغذية والدواء.

وفيما يلى نثبت صورة أو نموذجاً لهذه المراسيم سجله لنا القلقشندى فى كتابه «صبح الأعشى» وهو مرسوم بتعيين ناظر للبيمارستان النورى، الذى أنشأه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى (ت ٥٦٩هـ) [١].

"الوظيفة الثامنة- النظر.

وهذه نسخة توقيع بنظر البيمارستان النورى، كتب بها لمن لقبه "شهاب الدين" وهى: رسم ٠٠٠- لا زال يطلع فى سماء المناصب السنية من ذوى الأصالة والكفاية شهابا ويوزع المستحقين بجهات البر شكره إذ اختار لهم من أهل النهضة من ارتدى العفاف جلبابا، ويودع صحائف الأيام ذكره الجميل حين أحيا قربات الملوك السالفين بانتخاب من يجدد لهم بحسن المباشرة ثوابا- أن يحمل «مجلس الأمير» فلان:أعزه الله تعالى فيما هو بيده فى نظر البيمارستان النورى بدمشق المحروسة، على حكم التوقيع الكريم والولاية الشرعية اللذين بيده واستقراره فى ذلك بمقتضاهما استقرارا يبسط فى هذا المنصب يده ولسانه، ويظهر شهاب عد له الذى يحرق الجور شيطانه ويبرز من مباشرته ما عرف جوهرة بحسن الانتقاء وابريزه بحسن الانتقاد، ومن

(١) القلقشندى، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، شرح وتعليق محمد حسين شمس الدين، ج١٢ (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٧)، ص ص ٨٣، ٨٤.

تأثيره ما تبلغ بن الانفس المراد بأوسع مراد، ويبدى من تدبيره، ما ينتج تمييز الوقف وتثميره.

فليباشر ذلك على عادة مباشرته الحسنة، وليسلك فيها ما عهد من طريقته المستحسنة، محصلا من المفردات ما يصرفها لمستحقها وقت الحاجة إليها، مثابرا على حسن معالجة المضرور الذى لا تقدر يده من العجز عليها، مواصلا فعل الخير باستمرار صدقات الواقع ليشاركه فى الأجر والثواب، مستجلبا له من الدعاء ولنا بمشاركته فى الأمر بالعمل بسنته إلى يوم المآب، ضابطا أموال هذه الجهة بتحرير الأصول والمطلق والحساب، متقدما إلى الخدام والقومة بحسن الخدمة للعاجز والضعيف، مؤكدا عليهم فى أخذهم بالقول اللين دون الكلام العنيف، ملزما لهم بجودة الخدمة ليلا ونهاراً، مؤاخذا لهم بما يخلون به من ذلك إهمالا وإقصاراً متقدماً إلى أرباب وظائف المعالجة ببذل النصيحة، واستدراك الأدواء المقسمة بإتقان الأدوية الصحيحة، وليتفقد الأحوال بنفسه: ليعلم أهل المكان أن وراءهم ما يقابلهم على التقصير، وليبذل فى ذلك جهده فإن الاجتهاد القليل يؤثر الخير الكثير.

والوصايا كثيرة وعنده من التأدب بالعلم وحسن المباشرة ما فيه كفاية وفى أخلاقه من جميل المآثر وما حازه فى البداية ما ينفعه فى

النهاية، ولكن تقوى الله عز وجل هى السبب الأقوى، والمنهل الذى من ورده يروى، فليجعلها له ذخيرة ليوم الميعاد، ومعقلا عند الخطوب الشداد، والله تعالى يبلغه من التوفيق الأمل والمراد، بمنه وكرمه، والاعتماد... إن شاء الله تعالى".

من هو ابن أبى أصيبعة؟

- اسمه: أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجى.
- كنيته: أبو العباس .
- لقبه: موفق الدين.
- شهرته: ابن أبى أصيبعة. وهى نفسها لقب جده.

وجده هو "خليفة بن يونس الخزرجى". وقد غلب لقب ابن أبى أصيبعة" على موفق الدين وصار علما عليه فى حياته على ما يبدو وبعد وفاته فى ثنايا كتابات المؤرخين له أو للتأليف الطبى، أو لكتب الطبقات والتراجم. ويبدو أن التلقيب باسم العائلة كان شائعا فى عصره فقد قال فى ترجمة رشيد الدين أبى حليقة (ص٥٩٦):

«وجماعة أهل الحكيم رشيد الدين أبى حليقة أكثر شهرتهم فى الديار المصرية والشام ببنى شاكر، لشهرة الحكيم أبى شاكر وسمعته الذائعة فصار كل من له نسب إليه يعرفون ببنى شاكر وإن لم يكونوا من أولاده»

والواقع أن المعلومات المتاحة عن حياة ابن أبى أصيبعة يكتنفها غير قليل من الغموض والاضطراب. وليته سار على نهج كثير ممن سبقوه من المؤرخين الذين لم ينسوا التأريخ لأنفسهم فساعد ذلك من جاءوا بعدهم حين كتبوا عنهم.

وعلى أية حال، فإن ترجمته لحياة عمه الطبيب رشيد الدين على بن خليفة (ت٦١٦هـ) تضمنت معلومات مفيدة عن جده خليفة (ابن أبى أصيبعة الأول)، ووالده الطبيب القاسم بن خليفة (ت٦٤٩هـ) مما سوف نعطيه أولوية فى الاعتماد عليه أكثر مما رواه عنه الآخرون.

فمن هذه الترجمة [*] نستنتج أن جده خليفة كانت له همه فى طب العلوم وكان قد توجه إلى الديار المصرية عندما فتحها «صلاح الدين الأيوبى» وكان جده فى خدمته وخدمة أولاده، ولما رزق الله تعالى خليفة هذا بابنيه: القاسم (والد موفق الدين) الذى ولد سنة ٥٧٦هـ وعلى الذى ولد سنة ٥٧٩هـ اهتم بتعليمهما الطب حتى اشتهرا ومارسا المهنة وبرعا فيها وتوليا تدريس الطب لغيرهما.

ولكن ابن أبى أصيبعة لم يحدد لنا تاريخ مولده مما جعل الاضطراب يسود الروايات المختلفة التى تعرضت لهذا التاريخ على النحو الأتي:

(*) تشغل هذه الترجمة خمس عشرة صفحة من الكتاب ص ٧٣٦-٧٥٠.

ذكرت دائرة المعارف الإسلامية «مادة» ابن أبى أصيبعة أنه ولد سنة ٦٠٠ بدمشق[١].

- **وذكرت فى التعليق على هذه المادة أنه ولد فى حدود سنة ٥٩٥ هـ فى القاهرة[٢].**
- **ونقل عبد الصبور شاهين التاريخين وحاول- بشكل مضطرب- التوفيق بينهما[٣].**
- **وذكر جورجى زيدان أنه ولد سنة ٦٠٠هـ[٤] بدمشق.**
- **وذكر الزركلى أنه ولد سنة ٥٩٦هـ[٥].**
- **وذكر بوركلمان أنه ولد بعد سنة ٥٩٠ هـ بدمشق[٦].**
- **وذكر كحالة أنه ولد بدمشق سنة ٥٩٦هـ[٧].**

والذى يطمئن إليه الباحث إزاء هذا الاضطراب هو ما ذهب إليه كارل بروكلمان من أنه ولد بعد عام ٥٩٠ هـ ويكون عمر أبيه آنذاك فوق خمس عشرة سنة.

---

(١) ذكرت دائرة المعارف الإسلامية هذا التاريخ (٧٥٩هـ) ولعله خطأ مطبعى.
(٢) عبد الصبور شاهين، مرجع سابق، ص ص ٢٢٧، ٢٢٨.
(٣) جورجى زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج٣، (بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٧٣) ص١٦٧.
(٤) جورجى زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية، جـ٣ (بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٨٣) ص ١٦٧.
(٥) خير الدين الزركلى، الأعلام. ط٧ (بيروت: دار العل للملايين، ١٩٨٦) ص ١٩٧.
(٦) كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربى، جـ٦، ط٢، (ترجمة السيد يعقوب بكر (القاهرة: دار ا لمعارف، ١٩٨٣) ص ٤٨.
(٧) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، حـ٢ (بيروت: دار احياء التراث العربى، د.ت)، ص ٤٧.

وربما كان التاريخ الذى اتفق عليه كل من الزركلى وكحالـــة[1]. وهو ٥٩٦هـــ هو الصواب.

وذلك لأن ابن تغــزى بــردى حــين تــرجم لـــه فـــى النجــوم الزاهرة[2].قال: «مات بصرخة فى جمادى الأولى- ســنة ٦٦٨- وقــد نيف على سبعين سنة» وابن تغــزى بــردى (ت٨٧٤هـــــ) مــؤرخ بارزوليس من السهل أن يقع فى خطأ التعبير بـــ «نيف علـــى» وهـــو يعلم أنه ولد سنة ٦٠٠ هــ وبخاصة أنه أشار إليه فى موضع آخر فى كتابه المنهل الصافى[3]. حين ذكر أن ابن أبى أصيبعة أرخ للطبيب عز الدين السويدى المولد سنة ٦٠٠ هــ وقال عنه «وكنت أنا وهو فـــى المكتب».

مآخذ على دائرة المعارف الإسلامية:

❖ أولاً: التعصب الدينى:

يظهر التعصب من تركيز المؤلفين على دور النصارى واليهود

(١) لا نستبعد أن يكون كحالة قد اعتمد على الزركلى فى هذا التاريخ لأننا لاحظنا أن هناك عبارات منقولة حرفياً، ومن المعروف أن كتاب الزركلى أسبق وجوداً من كتاب كحالة فالأول بدأ العمل فيه سنة ١٩١٢ والثانى نشر سنة ١٩٥٧م.

(٢) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، مرجع سابق، ص ٢٢٩، وقد سماه عبد الصبور شاهين فى مقالته «النجوم الزهراء»وهذا غير صحيح.

(٣) ابن تغرى بردى، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج١١، تحقيق محمد محمد أمين وسعيد عبد الفتاح عاشور، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٤)، ص١٤٣، وترجمة السويدى هذا فى كتاب ابن أبى أصيبعة ص٧٥٩.

فى تعليم الطب لأسرة ابن أبى أصيبعة خلافا للحقيقة، وذلك كما فى الأمثلة التالية:

أ. ١: القول بأن الوزير الذى كتب ابن أبى أصيبعة كتابه ليهديه إليه هو أبو الحسن بن غزال السامرى إشارة إلى ديانته اليهودية على مذهب السامرى مخالف للحقيقة إذ قال عنه ابن أبى أصيبعة فى كتابه (ص٧٢٣) أنه كان سامريا وأسلم.

ب. ١: القول بأن والده وعمه كانا «يطلبان العلم على الفيلسوف اليهودى الطبيب موسى بين ميمون فيه مخالفة للحقيقة إذ روى ابن أبى أصيبعة فى ترجمته لعمه رشيد الدين أن عمه وأباه تعلما على يدى جمال الدين أبى الحوافر وأبى الحجاج يوسف الكحال (أشارت إليه الدائرة) اللذين كان صديقين لجده خليفة.

ت. ١: القول بأنه استفاد من دروس السديد بن أبى البيان الإسرائيلى فى البيمارستان الناصرى بالقاهرة فيه مبالغة وتعصب. إذ كان ابن أبى أصيبعة فى ذلك الوقت طبيبا كبيرا له مرتب شأنه شأن الإسرائيلى. وجَعْلُه تلميذا له يوحى بأنه كان ما زال فى دور الطلب بدليل قولهم حرفيا (وعلى هذا النحو

استطاع ابن أبى أصيبعة أن يحذق الطب من الناحية العملية).

ث. ١: وينطبق هذا التعصب أيضا على قولهم أن ابن أبى أصيبعة كان شغوفا بدروس الطبيب اليهودى عمران بن صـدقة. مـع أن مقابلته له كانت عارضة ولم تكن تلمذة بالمعنى الـذى أرادت الدائرة إبرازه.

❖ ثانياً: عدم الدقة التاريخية:

وتظهر من الأمثلة التالية:

أ. ٢: القول بأن موسى بن ميمون اليهودى كان استاذا لوالد ابن أبى أصيبعة وعمه، مع أن ابن أبى أصيبعة يذكر أنه كان زميلا لـه فى المعالجة فى البيمارستان الناصرى بالقاهرة عـام ٦٣١ أو ٦٣٢هـ (ص ٥٨٣). وعمه توفى ٦١٦هـ.

ب. ٢: القول بأن أباه "أبرأ الملك العادل عام ٦٠٦ هـ من رمد شديد فقرَّ به إليه وأصبح كحالا شهيراً ففى هذه العبارة أكثر من خطأ:

فالصحيح أنه أبرأ أحد خدم الملك العادل وليس الملك نفسه وهذا الخادم أسمه سليطة (ص٧٣٨).

وكان ذلك عام ٦٠٩ هـ وليس ٦٠٦ هـ (ص ٧٣٨).

وكان أبوه مشهورا قبل هذه الحادثة بدليل السماح له بمعالجته بعـد إخفاق كل أطباء العيون المرافقين للملك (ص ٧٣٨).

ت. ٢: القول بأن ابن أبى أصيبعة شغل منصبا فى بيمارستان بالقاهرة عام ٦٣٤هـ خطأ لأنه فى تلك السنة سافر إلى (صرخد) بناء على طلب أميرها عز الدين أيدمر. (٢٦٧٩) والصواب أنه كان بالقاهرة- كما قال- سنة ٦٣١ أو ٦٣٢هـ، و ٦٣٣هـ وكانت له «جامكية وجراية» أى راتب وحوافز بلغة ذلك العصر.

ث. ٢: القول بأنه أتقن الدراسة العملية للطب على يدى السديد بن أبى البيان الإسرائيلى. والصواب أنه تعلم الدراسة العملية للطب على يدى أستاذه الذى يعتز به كثيرا مهذب الدين عبد الرحيم بن على، وأستاذه الآخر رضي الدين الرحبى وهو نفسه أستاذ عمران اليهودى الذى جعلته الدائرة أستاذا لابن أبى أصيبعة لمجرد أنه ذكر أنه حضر معه دروسا عملية- أى بصفته زميلا- على يدى شيخهما رضى الدين الرحبى (ص٦٧٣) الذي لم يكن يرغب فى تعليم الطب لأهل الذمة.

مآخذ على مقالة شاهين:

وللباحث على مقالة شاهين مآخذ عديدة:

- ❖ الأول: أنه نقل عن دائرة المعارف نقلا مباشرا مع تغيير طفيف جدا (أحيانا) فى بعض الكلمات ليوحى بأنه يكتب من تلقاء نفسه.
- ❖ الثانى: متابعته للدائرة فى أخطائها وتعصبها فقد ذكر واقعة علاج والده للملك العادل وقد بينا أن هذا مخالف للحقيقة وأنه عالج أحد خدم الملك. وكما أورد ذات التاريخ وهو ٦٠٦ هـ والصواب كما أوضحنا هو ٦٠٩هـ.
- ❖ الثالث: التحريف فى النقل فالدائرة تقول "وعلى هذا النحو استطاع أن يحذق الطب من ناحيته العملية "وشاهين يقول ".. استطاع أن يخدم الطب من الناحية العملية". والفارق واسع بين يحذق ويخدم.
- ❖ الرابع: ادعاء ما ليس صحيحا كالقول بأن كتاب ابن أبى أصيبعة منشور فى طبعة فخمة بعناية الدكتور نزار رضا عن دار مكتبة الحياة ببيروت سنة ١٩٦٥. والصواب أن هذه الطبعة الفخمة المتداولة ليس بها أية إشارة إلى سنة النشر.
- ❖ الخامس: المجازفة العلمية كقول شاهين «إن المؤلف صنع كتابه ليخدم به خزانة الوزير (أبى الحسن بن غزال) المولى الصاحب.. الخ» تم إضافته من عنده: وكان هذا الوزير عالماً عادلاً حكيماً

يعطى القدوة من نفسه ويقيم العدل فى رعيته، هذا كلام شاهين، وأما ابن العماد صاحب "شذرات الذهب" فيقول[1]: وكان (يقصد هذا الوزير) طالما نحسا ماكرا داهية".

- **السادس: النقل غير المتثبت ليس فقط عن الدائرة كما رأينا فيما سبق، ولكن أيضا عن على مبارك حيث نقل شاهين عن الخطط التوفيقية أن عدد التراجم فى الكتاب هو ٣٦٨ ترجمة وقالت الدائرة أن التراجم ٤٠٠ ترجمة وقد قام الباحث باحصاء التراجم فوجدها ٣٩٢ ترجمة.**

وعلى أية حال فإن ابن أبى أصيبعة قضى معظم حياته متنقلا بين القاهرة ودمشق، ثم عمل فى صرخد[2]. مع أميرها عز الدين أيد مر حتى مات بها سنة ٦٦٨هـ حسب إجماع الروايات التى أرخت لوفاته.

دوافع ابن أبى أصيبعة لتأليف كتابه:

كان تأليف الكتب وإهداؤها إلى الوزراء أو الخلفاء والأمراء قديما عادة معروفة ووسيلة من وسائل الكسب المادي بالحصول على المكافآت والكسب الاجتماعى بتولى الوظائف المرموقة كخدمة السلاطين والوزراء وما يحققه القرب منهم من وجاهة اجتماعية. كما

(١) ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب، مرجع سابق، ص ٢٤١.
(٢) منطقة صغيرة (نيابة تابعة لدمشق

كان بعض الحكام يشجع العلماء على تأليف الكتب فـــى مجـــالات معينة حبا للعلم ورغبة فى نشره. وقد أوضح ابن أبـــى أصـــيبعة فـــى مقدمة كتابه أنه كتبه خصيصا لخزانة الوزير أبى الحسن بن غزال ولم يحدد لنا أسباب كتابته إياه وإن كانت لن تخرج عن التحليل الســـابق. وقد سبقه فى هذا المضمار كثير من المؤلفين القدامى كأبى حيـــان التوحيدى وغيره.

الأهمية التربوية لهذا الكتاب:

إن الأهمية التربوية لهذا الكتاب تنطلق من الاعتبارات التالية:

- ❖ أولها: أن ابن أبى أصيبعة نفسه كان طبيبا وعلى صلات واســـعة بأطباء عصره فتأريخه لهم يكتسب مصداقية تفوق مُعَاصِره القفطى الذى كان شاعرا ووزيرا وقاضـــيا وأرخ للأطبـــاء فجـــاء كتابـــه مجموعة من الحكايات الأقل مصداقية.
- ❖ ثانيها: أنه عاش متنقلاً بين مصر والشام فى العصر الأيوبى وشهد بداية العصر المملوكى حيث كانت القاهرة ودمشق فى ذلـــك فـــى الوقت أكبر حاضرتين إسلامتين فى العالم الإسلامى. وكانتا مهـــبط العلماء ومحط رجال النابغين فى شتى التخصصات.
- ❖ ثالثهما: أن ابن أبى أصيبعة ترجم لعدد وافر مـــن الأطبـــاء مـــن الفرس والروم والعرب والمغاربة يقارب الأربعمائة.

❖ رابعهما : أنه يذكر بعد كل ترجمة أسماء الكتب التى ألفها صاحب الترجمة فى الطب وغيره من المعلوم وأن ما أثبته من الكتب بلــغ من الثقة حداً كبيراً. فهذه الكتب تعطينا فكرة واضحة- كما تقــول دائرة المعارف الإسلامية عن هذا الإنتاج العلمى العظيم لكثير مــن هؤلاء العلماء وما وصلوا إليه فى بعض الأحيــان مــن المعرفــة الشاملة العجيبة. وقد اعتمد الكتابان الموثوق بهما اللذان كتبا عن الطب الإسلامى باللغات الأوربية (وهما كتب فســتنفلد بالألمانيــة وكتاب لكلرك بالفرنسية) كل الاعتماد على مصنف ابن أبى اصيبعة "عيون الأنباء".

المبحث الثاني
تعليم الطب فى البلاد المختلفة

تعليم الطب

في البلاد المختلفة

أرخ ابن أبى أصيبعة لتعليم الطب فى بلاد مختلفة وكان منهجه فى التأريخ يقوم على أساس التراجم المفصلة لأطباء كل بلد مرتبين فى صورة طبقات من الأقدم إلى الأحدث، وتشمل ترجمة كل طبيب نبذه عن حياته وأساتذته وتلاميذه ونوادره ويختمها بمؤلفاته الطبية -وغير الطبية أحياناً-.

وقد شملت تراجمه البلاد الآتية:

- بلاد اليونان.
- الإسكندرية.
- الجزيرة العربية.
- العراق.
- فارس .
- الهند.
- المغرب (بلاد المغرب وتضم الأندلس وشمالى أفريقية).
- الشام.

- ولكننا سنقصر الحديث على كل من :
- اليونان.
- مصر.
- العرق.

للأسباب الآتية:

- أن اليونان هى مهد الطب فى العالم كله.
- أن مصر هى موضوع الدراسة التفصيلية من حيث مراحل الدراسة وطرق التدريس لوجود المادة العلمية مفصلة.
- أن العراق تمثل نهضة الترجمة فى عهد العباسيين وازدهار التأليف الطبى.

نشأة علم الطب وتطور تعليمه:

خصص ابن أبى أصيبعة الباب الأول من كتابه لدراسة نشأة علم الطب أو العلوم الطبية إذا أخذنا فى الاعتبار تعريجة على تطور صناعة الدواء وما يتصل به من علوم النبات، والبيطرة بعلومها المختلفة.

وقد أشار فى مقدمة حديثه إلى الصعوبات التى تواجه دارس تاريخ تعليم الطب وأوجزها فى ثلاث نقاط هى:

قدم العهد بنشأة الطب والعلاج.

- عدم وجود المراجع العلمية الموثوق بها.
- اختلاف مشارب المؤرخين وتباين معتقداتهم وأطـرهم المعرفيـة والاجتماعية.

وبعد أن يذكر هذه الصعوبات يدخل فى مناقشة فلسفية حول قدم أو حدوث صناعة الطب.

ومسألة القدم والحدوث من المسائل الشائكة فى الفكر الفلسـفى الإسلامى لارتباطها على نحو ما بالعقيدة الإسلامية وما يتصل بالتوحيد وقدم الخالق.

وما فتنة خلق القرآن التى ثارت فى عصر المـأمون إلا صـورة واضحة للمدى الذى وصل إليه الجدل حول هذه المسألة حـين كانـت الرقاب تطير لمجرد المخالفة فى الرأي.

وقد أورد ابن أبى أصيبعة آراء الفريقين المتعارضين: القـائلين بالقدم- بمعنى أن هذه الصناعة موجودة مع الإنسان الهاما منذ وجوده على الأرض- والقائلين بالحدوث- بمعنى أن الناس اكتسبوها بالتجربة والملاحظة-، وأورد ذلك بصورة إجمالية ثم فصله على خمسة أقسـام كما أسماها وهى:

الأول: أن يكون مصدر المعرفة الطبية الأنبياء والأصفياء ويروى عن القائلين بهذا الرأى آثارا من الثقافة الإسلامية واليهودية والصائبة والمجوسية وغيرها.

- الثانى: أن يكون مصدر المعرفة الطبية هو الرؤيا الصادقة ويروى عن القائلين بهذا الرأى روايات عن جالينوس وأبقراط تؤيد أنهما آلهما- إلهاما من خلال الرؤى المنامة ببعض أنواع العلاج والدواء.
- الثالث: أن يكون مصدر المعرفة الطبية الاتفاق والمصادقة،كما يروى عن أندرو ماخس وأبو لونيوس وغيرهما.
- الرابع: أن يكون مصدر المعرفة الطبية ملاحظة سلوك الحيوانات وتقليده.
- الخامس: أن يكون مصدر المعرفة الطبية الالهام عن طريق الفطرة كما هو الحال عند بعض الحيوانات والطيور التى تتصرف بوحى من فطرتها.

ثم يعلق على هذا التقسيم دون أن يحدد لنفسه موقفا واضحا. فيقول:

وبالجملة فإنه قد يكون من هذا ومما وقع بالتجربة والاتفاق والمصادقة أكثر ما حصلوا من هذه الصناعة.

ثم تكاثر ذلك بينهم وعضده القياس بحسب ما شاهدوه، وأدتهم إليه فطرتهم، فاجتمع لهم من جميع تلك الأجزاء التى حصلت لهم بهذه الطرق المتفننة المختلفة أشياء كثيرة.

ثم أنهم تأملوا تلك الأشياء واستخرجوا عالمها والمناسبات التى بينها، فتحصل لهم من ذلك قوانين كلية ومبادئ منها يبتدأ بالتعليم والتعليم، وإلى ما أدركوه منها أولا ينتهى.

فعند الكمال يتدرج فى التعليم من الكليات إلى الجزئيات، وعند استنباطها يتدرج من الجزئيات إلى الكليات، وأقول أيضا وقد أشرنا إلى ذلك من قبل، أنه ليس يلزم أن يكون أول هذا مختصا بموضع دون موضع، ولا يفرد به قوم دون آخرين إلا بحسب الأكثر والأقل، وبحسب تنوع المداواة.

ولهذا فإن كل قوم هم مصطلحون على أدوية يألفونها ويتداوون بها، وأرى أنهم إنما اختلفوا فى نسبة صناعة الطب إلى قوم بحسب ما قد كان يتجدد عند قوم فينسب إليهم، فإنه قد يمكن أن تكون صناعة الطب فى أمة أو فى بقعة من الأرض فتدثر وتبيد بأسباب سماوية أو أرضية، كالطواعين المفننة والقحوط المجلية، والحروب المبيدة، والملوك المتغلبة، والسير المخالفة.

فإذا انقرضت فى أمة ونشأت فى أمة أخرى، وتطاول الزمان عليها نسى ما تقدم، وصارت الصناعة تنسب إلى الأمة الثانية دون الأولى، ويعتبر أولها بالقياس إليهم فقط، فيقال لها مذ ظهرت كذا وكذا

وإنما يعنى فى الحقيقة مذ ظهرت فى هذه الأمة خاصة، وهذا مما لا يبعد. فأنه على ما تواترت به الآثار، وخصوصا ما حكاه جـالينوس وغيره، أن ابقراط لما رأى صناعة الطب قد كادت أن تبيد، وأنـه قـد درست معالمها عن آل اسقليبيوس، الذين ابقراط منهم، تداركها بـأن أظهرها وبثها فى الغرباء، وقواها ونشرها وشهرها بأن أثبتها بالكتب، فلهذا يقال أيضاً على ما ذهب إليه كثير من الناس، أن أبقراط أول من وضع صناعة الطب وأول من دونها وليس الحق، على ما تواترت بـه الآثار، إلا أنه أول من دونها من آل اسقليبيوس لتعليم كل مـا يصـلح لتعلمها من الناس كافة، ومثله سلك الأطباء من بعده واستمر إلى الآن.

واسقليبيوس الأول هو أول من تكلم فى شئ من الطب على مـا سيأتى ذكره.

تعليم الطب في بلاد اليونان:

نقل ابن أبى أصيبعة عمن سبقوه أن اسقليبيوس[١] هو أول مـن ذكر من الأطباء فى العالم، وأول من تكلم فى الطب التجريبى بوصـفه علما ينتقل عن طريق التعليم.

ويذكر ابن أبى أصيبعة- نقلا عن سابقيه- أن هذا الرجـل كـان معظما عند اليونانيين حتى بعد موته، وأنه إمام الطب عندهم وأبو أكثر الفلاسفة القدامى مثل اقليدس وأفلاطون وأبقراط وأرسطوا طاليس،

---

(١) يقال أنه عاش قبل الطوفان ويكتب بالإنجليزية هكذا Esculape.

وأن سولون- المشرع اليونانى الشهير- أخوه. كما يذكر أن اسقليبيوس هذا قد تلقى علم الطب على يدى طبيب مصرى هو أغاطوذيمون، وفى رواية أخرى أنه تلقاه على يدى طبيب مصرى يسمى هرمس.

ونقل ابن أبى أصيبعة عن طبيب مؤرخ سابق عليه هو ثابت بن قره الحرانى أن اسقليبيوس كان له اثنا عشر ألف تلميذ. وأنه كان يقوم بتعليمهم الطب مشافهة.وكان أهله يتوارثون صناعة الطب.

ومع ذلك فإنه ينقل رواية أخرى عن يحيى النحوى أن اسقليبيوس هذا كان له ابنان ماهران فى هذه الصناعة.

وعهد إليهما ألا يعلما الطب إلا لأولادهما وأهل بيته وألا تخرج صناعة الطب إلى الغرباء بل يعلمها الأباء الأبناء.

ثم أفاض فى ذكر أحوال هذا الطبيب وصفه تمثاله وملابسه وعاداته. وفسر الرموز التى توجد حول صورة التى كانت مجسمة ومعبرة عن اعتقاداته واعتقادات من اهتموا بالتأريخ له. وختم ترجمته له بذكر بعض أقواله.

بعد ذلك عرض ابن أبى أصيبعة للأطباء اليونانيين من نسل هذا الطبيب وهم غورس، مينس، برمانيدس، أفلاطون الطبيب، وأخيرا اسقليبيوس الثانى الذى انتقلت بعده هذه الصناعة إلى أبقراط الذى يعد أبا الطب فى العالم القديم.

وقد عاش أبقراط خمسا وتسعين سنة[1]. ولما رأى أن ورثه جده السابع اسقليبيوس الأول يقلون، رأى أن ينشر تعليم الطـب ويتيحـه لسائر الناس مخالفا بذلك وصية جده. وقد نقل أبقراط تعليم الطب نقله كبيرة بخطوات ثلاث هى:

- السماح بكتابة ما يسمعه المتعلم من أسـتاذه ولـم يكـن ذلـك مسموحا به من قبل فكان التعليم مشافهة فقط.
- تأليفه هو نفسه للكتب خوفا على هذا العلم من الانقراض.
- وصفه ما يسمى بـ (عهد أبقراط) أو ما يمكن تسميته بـ (ميثاق شرف المهنة)، وفيما يلى نصه كما أورده ابن أبى أصيبعة :

❖ قسم أبقراط:

قال أبقراط: "إنى أقسم بالله رب الحياة والموت، وواهب الصحة، وخالق الشفاء وكل علاج. وأقسم باسقليبيوس. وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعا وأشهدهم جميعا على أنى أفى بهذه اليمين وهذا الشرط.

وأرى أن المعلم لى هذه الصناعة بمنزلة آبائى، وأواسـيه فـى معاشى، وإذا احتاج إلى مال واسته وواصلته من مالي.

---

(١) يكتب اسمه بالإنجليزية هكذا Hippocrate وقد توفى سنة ٣٥٧ق. م والعرب يسمونه أبا الطب.

«وأما الجنس المتناسل منه فأرى أنه مساو لأخوتي، وأعلمهم هذه الصناعة إن احتاجوا إلى تعلمها بغير أجرة ولا شرط. وأشرك أولادي وأولاد المعلم لى والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط أو حلفوا بالناموس الطبى فى الوصايا والعلوم وسائر ما فى الصناعة. وأما غير هؤلاء فلا أفعل به ذلك، وأقصد فى جميع التدابير، بقدر طاقتى، منفعة المرضى».

«وأما الأشياء التى تضر بهم وتدنى منهم بالجور عليهم فأمنع منها بحسب رأيى ولا أعطى إذا طلب منى دواء قتالا، ولا أشير أيضا بمثل هذه المشورة. وكذلك أيضا لا أرى أن أدنى من النسوة فزوجه تسقط الجنين. وأحفظ نفسى فى تدبيرى وصناعتى على الزكاة والطهارة، ولا أشق أيضا عمن فى مثانته حجارة، ولكن أترك ذلك إلى من كانت حرفته هذا العمل. وكل المنازل التى أدخلها إنما أدخل إليها لمنفعة المرضى، وأنا بحال خارجه عن كل جور وظلم وفساد إرادى مقصود إليه فى سائر الأشياء، وفى الجماع للنساء والرجال، الأحرار منهم والعبيد.

وأما الأشياء التى أعاينها فى أوقات علاج المرضى أو أسمعها، فى غير أوقات علاجهم فى تصرف الناس من الأشياء التى لاينطبق بها خارج فامسك عنها، وأرى أن أمثالها لا ينطبق به.

فمن أكمل هذه اليمين ولم يفسد شيئا كان له أن يكمل تدبيره وصناعته على أفضل الأحوال وأجملها، وأن يحمده جميع الناس فيما يأتى من الزمان دائما، ومن تجاوز ذلك كان بضده".

وقد حدد أبقراط مواصفات طالب الطب على النحو التالى الذى أورده ابن أبى أصيبعة.

«وينبغى لمن أراد تعلم صناعة الطب أن يكون ذا طبيعة جيدة مؤاتية وحرص شديد ورغبة تامة، وأفضل ذلك كله الطبيعة لأنها إذا كانت مؤاتية فينبغى أن يقبل على التعليم ولا يضجر لينطبع فى فكرة ويثمره ثمارا حسنه، مثل ما يرى فى نبات الأرض، أما الطبيعة فمثل التربية، وأما منفعة التعليم فمثل الزرع، وأما تربية التعليم فمثل وقوع البزر فى الأرض الجيدة.

فمتى قدمت العناية فى صناعة الطب بما ذكرنا، ثم صاروا إلى المدن لم يكونوا أطباء بالاسم بل بالفعل. والعلم بالطب كنز جيد وذخيرة فاخرة لمن علمه، مملوء سرورا، سرا وجهرا، والجهل به لمن انتحله صناعة سوء، وذخيرة رديه، عديم السرور، دائم الجزع والتهور.

والجزع دليل على الضعف، والتهور دليل على قلة الخبرة بالصناعة.

وينبغى أن يكون المتعلم للطب فى جنسه حرا، وفى طبعه جيدا، حديث السن، معتدل القامة، متناسب الأعضاء، جيد الفهم، حسن الحديث، صحيح الرأى عند المشورة، عفيفا شجاعا، غير محب للفضة، مالكا لنفسه عند الغضب ولا يكون تاركا له فى الغاية،ولا يكون بليدا.

وينبغى أن يكون مشاركا للعليل مشفقا عليه، حافظا للأسرار، لأن كثيرا من المرضى يوقفونا على أمراض بهم لا يحبون أن يقف عليها غيرهم.

وينبغى أن يكون محتملا للشتيمة، لأن قوما من المبرسمين (المصابون بالبرسام وهو الهذيانى) وأصحاب الوسواس السوداوى يقابلونا بذلك، وينبغى لنا أن نحتملهم عليه، ونعلم أنه ليس منهم، وأن السبب فيه المرض الخارج عن الطبيعة.

وينبغى أن يكون حلق رأسه معتدلا مستويا، لا يحلقه ولا يدعه كالجمه ولا يستقصى قص أظافير يديه، ولا يتركها تعلو على أطراف أصابعه.

وينبغى أن تكون ثيابه بيضاء نقية لينة، ولا يكون فى مشيه مستعجلا لأن ذلك دليل على الطيش، ولا متباطئا لأنه يدل على فتور النفس.

وإذا دعى إلى المريض فليعقد متربعا ويختبر منه حاله بسكون وتأن، لا بقلق واضطراب فإن هذه الشكل والزى والترتيب عندى أفضل من غيره".

ويمكن إجمال صفات طالب الطب السابقة فى ثلاث مجموعات عامة: هى:

- مجموعة الصفات العقلية (جودة الفهم- حرية الفكر- حسن الحديث).
- مجموعة الصفات النفسية (الشفقة- الصبر- حسن الخلق.. الخ).
- الصفات الجسدية (الصحة العامة- حسن المظهر- صغر السن.. الخ).

ويضاف إليها احترام أسرار المرضى واحترام ميثاق شرف المهنة باعتبارهم أطباء المستقبل.

وأما عن مؤلفات أبقراط الطبية، فقد ذكر ابن أبى أصيبعة له حوالى ثلاثين كتابا. وأورد عبارة تدل على أن من بينها اثنى عشر كتابا ذات طابع تعليمى.

وأنه جعل اسلوبه فى تأليفها متمشيا مع مستويات المتعلمين العقلية المختلفة أى أنه وضعها وفى ذهنه أنها ستصبح- بحكم أوليتها- مصادر لدراسة وتدريس الطب. ومن ثم فقد جعلها على حد تعبير ابن أبى أصيبعة على ثلاث طرائق من طرق التعليم أحدها على

سبيل اللغز والثانية: على غاية الإيجاز والاختصار، والثالثة: على طريق التساهل والتبيين. وهذه الكتب هى(*):

- الأول: كتاب الأجندة وهو ثلاث مقالات: المقالة الأولى تتضمن القول فى كون المنى والمقالة الثانية تتضمن القول فى تكوين الجنين. والمقالة الثالثة تتضمن القول فى تكون الأعضاء.
- الثانى: كتاب طبيعة الإنسان، مقالتان، وهو يتضمن القول فى طبائع الأبدان مماذا تركبت.
- الثالث: كتاب الأهوية والمياه والبلدان، وهو ثلاث مقالات، المقالة الأولى يعرف فيها كيف نتعرف أمزجة البلدان وما تولد من الأمراض البلدية، والمقالة الثانية يعرف فيها كيف نتعرف أمزجه المياه المشروبة وفصول السنة، وما تولد من الأمراض البلدية، والمقالة الثالثة يعرف فيها كيفية ما يبقى من الأشياء التى تولد الأمراض البلدية كائنة ما كانت.
- الرابع: كتاب الفصول، سبع مقالات، وضمنه تعريف جمل الطب لتكون قوانين فى نفس الطبيب يقف بها على ما يتلقاه من أعمال الطب. وهو يحتوى على مجمل ما أودعه فى سائر كتبه.

(*) فى ملحق (١) فى نهاية البحث أوردنا قائمة بالمخطوطات التى ما تزال موجودة حتى الآن لمؤلفات أبقراط. راجع ملحق (١).

وهذا ظاهر لمن تأمل فصوله فإنها تنتظم جملا وجوامع من كتابه "تقدمه المعرفة" وكتاب «الأهوية والبلدان» ، وكتاب «الأمراض الحادة»، ونكتا وعيونا من كتابه المعنون «بأبيديما» وتفسيره الأمراض الرافده، وفصولا من كتابه فى «أوجاع النساء» وغير ذلك من سائر كتبه الأخر.

- ❖ الخامس: كتاب تقدمه المعرفة، ثلاث مقالات، وضمنه تعريف العلامات التى يقف بها الطبيب على أحوال مرض فى الأزمان الثلاثة الماضى والحاضر والمستقبل. وعرف أنه إذا أخبر بالماضى وثق به المريض استسلم له فتمكن بذلك من علاجه على ما توجبه الصناعة. وإذا عرف الحاضر قابله بما ينبغى من الأدوية وغيرها. وإذا عرف المستقبل استعد له بجميع ما يقابله به قبل أن يهجم عليه بما لا يمهله فى أن يتلقاه بما ينبغى.

- ❖ السادس: كتاب الأمراض الحادة، وهو ثلاث مقالات. المقالة الأولى، تتضمن القول فى تدبير الغذاء، والاستفراغ فى الأمراض الحادة. والمقالة الثانية، تتضمن المداواه بالتكميد والفصد وتركيب الأدوية المسهلة ونحو ذلك. والمقالة الثالثة تتضمن القول فى التدبير بالخمر وماء العسل والسكنجبين[١]. والماء البارد والاستحمام.

(١) معرب سركتكبين وهو شراب يتخذ من خل وعسل.

❖ السابع: كتاب أوجاع النساء، مقالتان ضـــمنه أولا تعريــف مـــا يعرض للمرأة من العلل بسبب احتباس الطمث، ونزيفه، ثم ذكر ما يعرض فى وقت الحمل وبعده من الاسقام التى تعرض كثيراً.

❖ الثامن: كتاب الأمراض الوافدة ويسمى ابيــديما، وهـــو ســـبع مقالات. ضمنه تعريف الأمراض الوافدة وتدبيرها وعلاجها، وذكر أنها صنفان: أحدهما مرض واحد فقط، والأخر مرض قتال يســـمى الموتان[1]. ليتلقى الطبيب كل واحد منهما بما ينبغى وذكر فى هذا الكتاب تذاكير.

وجالينوس يقول: إنى وغيرى من المفسرين نعلـــم أن المقالـــة الرابعة والخامسة والسابعة من هذا الكتاب مدلسه، ليست مـــن كـــلام أبقراط. ونبين أن المقالة الأولى والثالثة فيهما القول فـــى الأمـــراض الوافدة، وأن المقالة الثانية والسادسة تذاكير أبقراط، إمـــا أن يكـــون أبقراط وضعها، وأما أن يكون ولده أثبت لنفسه ما سمعه من أبيه على سبيل التذاكير، ومن أجل ما بينه. وقال جالينوس: اطرح الناس النظـــر فى المقالة الرابعة والخامسة والسابعة من هذا الكتاب فأندرست.

❖ التاسع: كتاب الأخلاط، وهو ثلاث مقالات. ويتعـــرف مـــن هـــذا الكتاب حال الأخلاط، أعنى كميتها وكيفيتها، وتقدمه المعرفة

---

(١) الفناء العام يصيب الناس والحيوان أو ما يعبر عنه بالوفاء.

بالأعراض اللاحقة بها، والحيلة، والتأنى فى علاج كل واحد منها.

- ❖ العاشر: كتاب الغذاء، وهو أربع مقالات. ويستفاد من هذا الكتاب علل وأسباب مواد الأخلاط. أعنى علل الأغذية وأسبابها التى بها تزيد فى البدن وتنميه وتخلف عليه بدل ما انحل منه.

- ❖ الحادي عشر: كتاب "قاطيطريون" أي حانوت الطبيب، وهو ثلاث مقالات ويستفاد من هذا الكتاب ما يحتاج إليه من أعمال الطب التى تختص بعمل اليدين دون غيرهما من الربط، والشد، والجبر، والخياطة، ورد الخلع، والتنطيل، والتكميد، وجميع ما يحتاج إليه.

وقال جالينوس: أن أبقراط بنى أمره على أن هذا الكتاب أول كتاب يقرأ من كتبه، وكذلك ظن به جميع المفسرين، وأنا واحد منهم. وسماه الحانوت الذى يجلس فيه الطبيب لعلاج المرضى. والأجود أن تجعل ترجمته كتاب الأشياء التى تعمل فى حانوت الطبيب.

- ❖ الثانى عشر: كتاب الكسر والجبر، وهو ثلاث مقالات. تتضمن كل ما يحتاج إليه الطبيب من هذا الفن.

ولأبقراط أيضا من الكتب وبعضها منحول إليه، كتاب أوجاع العذارى، كتاب فى مواضع الجسد، كتاب فى القلب، كتاب فى نبات الأسنان، كتاب فى العين، كتاب إلى بسلوس، كتاب فى سيلان الدم، كتاب فى النفخ، كتاب فى الحمى المحرقة، كتاب فى الغدد، رسالة إلى

ديمطريوس الملك ويعرف أيضا بكتاب الإيمان وضعه أبقراط للمتعلمين، ولمن يعلمونه أيضا ليقتدوا به، وأن لا يخالفوا ما شرطه عليهم فيه، وأن ينفى بما ذكره الشنعة عليه فى نقله هذه الصناعة من الوراثة إلى الإذاعة، كتاب ناموس الطب، كتاب الوصية المعروفة بترتيب الطب، ذكر فيها ما يجب أن يكون الطبيب عليه من الشكل والزى والترتيب، وغير ذلك، كتاب الخلع، كتاب جراحات الرأس وغيرها.

ويختتم ابن أبى أصيبعة تأريخه لتعليم الطب فى بلاد اليونان بأخر مشاهير أطبائهم وهو جالينوس (المولود بعد ميلاد المسيح بنحو خمسين سنة تقريبا حسبما نقل ابن أبى أصيبعة)، الذى عاش سبعا وثمانين سنة منها سبع عشرة سنه فى مرحلة طلب العلم، وسبعون سنة ممارسا للمهنة ومعلما ومؤلفا.

والمعلومات التى قدمها ابن أبى أصيبعة عن جالينوس مستقاة مما كتبه عنه سابقوه من المؤرخين كحنين بن إسحق وابن النديم وغيرهما، وهى فى مجملها معلومات غير مفيدة فى بحثنا الحالى إلا فيما يتعلق بالحصر الذى قدمه لنا بمؤلفات جالينوس التى ترجم جزء كبير منها إلى العربية[(١)].

---

(١) ملحق (٢) يضم مصنفات جالينوس التى ذكرها ابن أبى أصيبعة. وقد أوردناها كاملة لأهميتها العلمية من حيث كونها مصدرا فيما بعد للمؤلفات العربية فى مجال الطب.

ومع ذلك، فإن ترجمة جالينوس لنفسه التى أوردها ابن أبى أصيبعة تقدم لنا بعض الإشارات المفيدة حول تعليم الطب فى عصره، فقد أشار جالينوس- وهو يتحدث عن تاريخ حياته-إلى أنه تعرض لمجالس علميه بهدف امتحانه فيما حذفه من معرفة طبية واجتيازها بنجاح. كما أشار إلى أنه كان يقوم بتعليم الطب فى محافل عامة وكان يلقى خطبا فى مجالس علمية لعلها تشبه المؤشرات العلمية فى عصرنا هذا.

تعليم الطب في مصر (الإسكندرية):

بدأ تعليم الطب فى الأسكندرية على أيدى سبعة من الأطباء النصارى وهم اصطفن، جاسيوس، ثاودوسيوس، اكيلاوس، انقيلاوس، فلاذيوس، يحيى النحوى. حيث كانوا يقرأون من كتب جالينوس ستة عشر كتابا على ترتيب سنذكره عند الحديث عن مراحل تعليم الطب فى المبحث القادم.

وقد عمر من هؤلاء السبعة يحيى النحوى الذى أدرك أوائل الإسلام وقيل أنه دخل على عمرو بن العاص فأكرمه واحترم مكانته العلمية. وليحيى هذا لقب أخر هو فيلوبينوس ومعناه بالرومية المجتهد. ولا يقدم لنا ابن أبى أصيبعة معلومات كثيرة عن يحيى هذا سوى أنه كان قويا فى علم النحو فلقب بالنحوى، وأنه كان متمكنا فى المنطق والفلسفة وكان محبا للعلم حريصا على طلبه وإذاعته بين الناس.

وليحيى النحوى كتب كثيرة معظمها شروح وتفاسير لمؤلفات يونانية عريقة في الطب. فمثلا من مؤلفاته:

- تفسير كتاب «النبض الصغير» لجالينوس.
- تفسير كتاب «الصناعة الصغير».
- تفسير كتاب «المزاج» لجالينوس.
- تفسر كتاب«السماع الطبيعى» لارسطو طاليس.
- تفسير كتاب «القوى الطبيعية» لجالينوس.
- تفسير كتاب «التشريع الصغير» لجالينوس.
- تفسير كتاب «العلل والأعراض» لجالينوس.
- تفسير كتاب «تعرف علل الأعضاء الباطنة» لجالينوس.
- تفسير كتاب «النبض الكبير» لجالينوس.
- تفسير كتاب «الحميات» لجالينوس.
- تفسير كتاب «البحران» لجالينوس.
- تفسير كتاب «أيام البحران» لجالينوس.
- تفسير كتاب «حيلة البر» لجالينوس.
- تفسير كتاب «تدمير الاصحاء» لجالينوس.

- تفسير كتاب «منافع الاعضاء» لجالينوس.
- تفسير جوامع كتاب «الترايق»لجالينوس.
- جوامع كتاب «القصد» لجالينوس.
- كتاب «الرد على برقلس»ثمان عشرة مقالة.
- كتاب «فى أن كل جسم متناه فقوته متناهية».
- كتاب «الرد على أرسطو طاليس» ست مقالات.
- مقالة يرد فيها على نسطورس.
- كتاب يرد فيه على قوم لا يعرفون. مقالتان.
- مقالة أخرى يرد فيها على قوم أخر.
- مقالة فى النبض.
- نقضه للثمان عشرة مسألة لديد وخس. برقلس الأفلاطونى.
- شرح كتاب إيساغوجى لفرفوريوس.

ويبدو من كلام ابن أبى أصيبعة أن الكتب الستة عشر التى ألفها هؤلاء الرواد من أطباء الإسكندرية النصارى كانت تتمثل مناهج تعليم الطب فى الإسكندرية فى تلك الفترة المبكرة من تاريخ تعليم الطب. ثم يعقب على ذلك بقوله:

وللإسكندرانيين أيضا جوامع كثيرة فى العلوم الكمية والطب، ولا سيما لكتب جالينوس، وشروحاتها لكتب أبقراط.

فأما الأطباء المذكورون من ا لنصارى وغيرهم ممن كان معاصرا هؤلاء الأطباء الإسكندرانيين، وقريبا من أزمنـــتهم فمـــنهم: شـــمعون الراهب، المعروف بطبيوبه.

وأهرن القس صاحب الكناش، وألف كناشه بالسريانية، ونقله ما سرجيس إلى العربى، وهو ثلاثون مقالة. وزاد ما سرجيس مقالتين.

ويوحنا بن سرابيون، وجميع ما ألف ســريانى. وكـــان والـــده سرابيون طبيباً من أهل باجرمى. وخرج ولداه طبيبين فاضلين وهما:

يوحنا وداوود، وليوحنا بن سرابيون من الكتب: كناشه الكبيـــر، اثنتا عشرة مقالة.

كناشة الصغير، وهو المشهور، سبع مقـــالات. ونقلـــه الحـــديثى الكاتب لأبى الحسن بن نفيس المتطبب فى سنة ثمان عشرة وثلاثمائة، وهو أحسن عبارة من نقل الحسن بن البهلول الأوانى الطبرهانى ونقله أيضا أبو البشر متى.

ومنهم: انطيلس وبرطلاوس، وسندهشار، والقهلمان، وأبو جريح الراهب، وأوراس وبوينوس البيروتـــى، وســـيورخنا، وفلاعوســـوس، وعيسى بن قسطنطين ويكنى أبا موسى، وكان من جملة أفاضل

الأطباء، وله من الكتب: كتاب الأدوية المفردة، كتاب فى البواسير وعللها وعلاجها، وأرس، وسرجس الرأس عينى، وهو أول من نقل كتب اليونانيين على ما قيل إلى لغة السريانين، وكان فاضلا وله مصنفات كثيرة فى الطب والفلسفة، واطنوس الأمدى صاحب الكناش المعروف ببقوقونا، وغريغوريوس صاحب الكناش.

وأكثر كتب هؤلاء موجودة وقد نقل الرازى كثيرا من كلامهم فى كتابة الكبير الجامع المعروف «بالحاوى».

الطب في الجزيرة العربية:

لم تكن الظروف الجغرافية والمناخية وطبيعة العلاقات القبلية السائدة فى جزيرة العرب فى العصور القديمة- وحتى فى العصور الوسطى- تسمح بنمو حضارة مماثلة لتلك التى أتيحت لأقاليم متميزة جغرافيا كالإسكندرية وفارس والعراق والشام وشمال أفريقية حيث المياه والأنهار والحياة الاجتماعية المستقرة.

ولذلك لم ينتشر التعليم فى المجتمعات البدوية فى الجزيرة إلا متأخرا جدا بعد ظهور الإسلام حين ظهرت تجمعات علمية محدودة فى كل من مكة والمدينة والطائف تدرس العلوم الشرعية والعربية ومع ذلك فلم تبلغ فيها ما بلغته الحواضر العربية الأخرى كالكوفة والبصرة وبغداد ودمشق والقاهرة وغيرها من المدن المفتوحة والعواصم العلمية.

وفى تأريخه للطب وتعليمه فى الجزيرة العربية اقتصر حديث ابن أبى أصيبعة على نفر من أولئك الأطباء الذين اشتهروا فى عصر النبوة والخلافة الراشدة والدولة الأموية وهم:

- الحارث بن كلده الثقفى (تعلم الطب فى بلاد فارس وقابل كسرى).
- النضر بن الحارث بن كلده الثقفى (ابن خالة النبى ﷺ قتل كافرا فى عزوة بدر).
- ابن أبى رمثة التميمى (كان طبيبا وجراحا على عهد النبوة).
- عبد الملك بن أبجر الكتانى (كان مقيما فى الإسكندرية ثم انتقل إلى أنطاكية وحران).
- ابن أثال (طبيب معاوية بن أبى سفيان- نصرانى دمشقى).
- أبو الحكم (نصرانى شامى وكان طبيبا وخبيراً بالأدوية على عهد الأمويين).
- حكم الدمشقى (ت سنة ٢١٠هـ وعاش ١٠٥سنة).
- عيسى بن حكم الدمشقى (له كتابان أحدهما فى الطب والثانى فى منافع الحيوان).
- ثياذوق (طبيب الحجاج بن يوسف الثقفى وله كتابان أحدهما فى الأدوية).

• زينب طبيبة بنى أود (يبدو أنها كانت طبيبة عيون).

وباستثناء إشارته إلى أن بعض هؤلاء سافر فى البلاد وتعلم الطب فى رحلاته لانجد إشارة ذات قيمة إلى "تعليم" بمعنى الكلمة فى الجزيرة العربية خلال تاريخها الجاهلى والإسلامى والأموى.

ولكن بقيام الدولة العباسية انتقل الطب العربى انتقاله مفاجئة بسبب بدء الترجمة فى عهد الأمويين وازدهارها فى عصر العباسيين الذين اتخذوا بغداد عاصمة لدولتهم بدل دمشق عاصمة الأمويين.

وبذلك انتقل مركز الإشعاع الحضارى إلى العراق.

تعليم الطب في العراق:

قامت الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ، وفى تطور سريع أنشأ العباسيون لأنفسهم دولة عصرية ذات سلطة مركزية قوية. وذات قوة عسكرية ضخمة بعد أن فتحوا فارس وبلاد الروم ووصل نفوذهم إلى الشرق والغرب. وانفتحوا على ثقافات الحضارات غير العربية مثل الحضارات الهندية والفارسية واليونانية والفرعونية.

وقد أتيح لحكام العباسيين أن يتقرب إليهم ذووا الخبرات وأصحاب المواهب من شتى الأصقاع طمعا فى السلطة والجاه والمال. ومن ثم فقد اعتمد العباسيون على أجانب من مجالات عديدة، كان من بينها الطب والحراسة الخاصة والجيش وما نكبه البرامكة الأمثال

لتغلغل النفوذ الأجنبى على كافة الأصعدة سياسيا وتنفيذيا وعسكريا.

وقد ترجم ابن أبى أصيبعة للأطباء الذين اشتهروا فى العراق فى عهد الدولة العباسية الأول ومنهم:

- جورويوس بن جبرائيل. الذى كان طبيبا لأبى جعفر المنصور وله كتاب فى الطب باللغة السريانية ترجمة حنين بن إسحق فيما بعد.
- بختشوع بن جورجس (له كتاب مختصر فى الطب).
- جبرائيل بن بختشوع بن جورجس كان طبيب الرشيد وخدمه ثلاثا وعشرين سنة وله عدة كتب ذكرها ابن أبى أصيبعة.
- بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع.
- عبد الله بن جبرائيل ولعله من أهم هذه الأسماء التى كانت تمثل بدايات نهضة الطب فى العراق لأن له عدة كتب منها:
  - مقالة فى الاختلاف بين الألبان (كتبها سنة ٤٤٧هـ).
  - منافسة الأطباء (كتبه سنة ٤٢٣ هـ).
  - التواصل إلى حفظ التناسل (كتبه سنة ٤٤١ هـ).
  - تذكرة الحاضر وزاد المسافر.
  - طبائع الحيوان وخواصها ومنافع أعضائها.

- خصيب.
- عيسى المعروف بأبى قريش (كان صيدلانيا).
- اللجلاج (من أطباء المنصور).
- عبد الله الطيفورى.
- يزيد بن زيدبن يوحنا (من أطباء المأمون).
- عبد مرسى بن زيد (له كتاب "التذكرة" فى الطب).
- سابور بن سهل (كان ملازما لبيمارستان جند بسابور ومعالجة المرض به.

ونال الحظوة عند المتوكل وخلفائه وله كتاب «الاقرباذين» الكبير ويبدو من حديث ابن أبى أصيبعة عنه أنه كان أحد المراجع التى يعول عليها فى البيمارستان فى الصيدلية وله كتب أخرى).

على أن أهم ملامح تعليم الطب فى العراق على عهد العباسيين يتمثل فى ظاهرة الترجمة عن اللغات الأخرى، ولهذا يحسن أن نتناول ذلك بشئ من التفصيل.

المبحث الثالث

دور الترجمة فى تطوير التعليم الطبى

دور الترجمة
فى تطوير التعليم الطبى

دور الترجمة في تطوير التعليم الجنسى(*)

وضح من العرض السابق أن الطب لم يكن من العلوم العربية النشأة بل كان يونانى الأصل، وانتقل إلى العرب بالترجمة،وأما معارف العرب الطبية فلم تكن أكثر من معلومات سطحية قائمة على أساس الملاحظة والتجريب.

ولذلك، فإن الترجمة تعد من أهم عوامل تطور تعليم الطب فى البلاد العربية بما فيها مصر، إلا أن الدفعة الأقوى فى تاريخ الترجمة حديث فى عهد الدولة العباسية فى العراق حيث مقر الخلافة العباسية، وقد تحدث ابن أبى اصيبعة عن حركة الترجمة فى الإسكندرية فى الحقبة السابقة على ظهور الإسلام ودخوله مصر فذكر أن الإسكندرانيين ترجموا كتب أبقراط وجالينوس واعتمدوها مراجع الدراسة الطبية فى أيامهم.

(*) معلومات هذا الجزء مستقاه من:
- ابن أبى أصيبعة ، مرجع سابق:
- محمد إبراهيم النملة، "مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين"، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الرابع، فبراير ١٩٩١م، ص ٥١٥.
- نافع توفيق العبود، "من تاريخ الترجمة عند العرب" مجلة المؤرخ العربى بغداد، العدد العاشر، ١٩٧٩، ص ١٤٧.
- أحمد شوكت الشطئ الطب عند العرب، القاهرة: مؤسسة المطبوعات الحديثة د.ت.
- عبد الحليم منتصر، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠.

ولكنه أفاض فى الحديث عن المترجمين الذين ظهروا فى عهد الدولة العباسية وذكر معظم مؤلفاتهم.

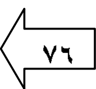
ونظراً إلى أهمية الترجمة فى تطوير تعليم الطب، فقد أفرد ابن أبى أصيبعة الباب التاسع من كتابه لفن الترجمة وأشهر المترجمين الذين سماهم "النَّقَلَة"(١).

ويمكن القول بأن حركة الترجمة التى بدأت على عهد بنى أمية ازدهرت ازدهارا كبيرا فى عهد العباسيين. فقد بدأت الترجمة تأخذ شكلا جديدا عندما استقدم الخليفة أبو جعفر المنصور جورجيوس بن بختشيوع من مدرسة "جند يسابور" مع تلميذه "إبراهيم وعيسى بن شهلا"، وكلف "ابن البطريق" بنقل أشياء من الكتب القديمة وترجم "منكة" الهندى (كتاب شاناق) فى السموم وعرب كتباً أخرى فى الطب والفلك.

وقد أنشأ المنصور ديوانا للترجمة وأرسل إلى ملك الروم يطلب منه كتب الحكمة فأرسل له الملك شيئا منها، كما حصل على مخطوطات أغريقية بعد فتحة لعمورية.

---

(١) النَّقَلة – بفتح النون المشددة والقاف- جمع ناقل، مثل كَتَبه جمع كاتب، والنَّقَلَة هم المترجمون من لغة إلى أخرى.



واستقدام "المنصور" لجرجيوس بن بختيشوع" لم يقتصر فقط على تطبيبه، بل كان هذا منطلقا لحركة نقل كتب الطب، وانشاء المكتبات في البيمارستانات. ووقف المترجمين لنقل التراث الذى قدم به القواد والفاتحون. فبدأت السيرة به وبأمثاله لإحياء العلوم بمختلف فروعها فى التوسع والانطلاق، وإلا فالبداية الحقة سابقة.

ونتيجة لهذا الاهتمام الواضح فى نقل ثقافات الآخرين، وخاصة منها الطب والهندسة والنجوم قيل أن "المنصور" هو الذى أنشأ بيت الحكمة ببغداد، وقيل عنه أيضا أنه هو الذى كان يعرض الأموال العامة للخطر عندما كان يدفع لهؤلاء العلماء (المترجمين) أثمان المؤلفات الجديدة بما يساوى أوزانها ذهبا.

ويأتى عهد "هارون الرشيد ت١٩٣هـ" امتدادا لعهد" المنصور" بعد أن اشتغل "المهدى ت ١٦٩هـ و"الهادى ت ١٧٠هـ" فى التخلص من حركة الزندقة. وكانت السمة الغالبة على اهتمام "الرشيد" منصبة على نقل كتب الطب، إلا أن هذا لا يعد اقتصارا من "الرشيد" على هذا النوع، فلم يخل عهد من ترجمات فى التنجيم والمنطق والطبيعة وما وراء الطبيعة. واستقدم العلماء إلى بغداد وجلب إليها الكتب وهو فى طريق عودته من الغزو وخاصة من الشمال والشمال الغربى لعاصمة الخلافة بغداد.

وبالإضافة إلى امتداد شهرة "آل بختيشوع" يشـــتهر فـــى عهـــد الرشيد "يوحنا ابن ماسيوية" الذى تولى الترجمة والتأليف والعـــلاج و "الحجاج بن مطر".

ومن سمات عهد "الرشيد" أن الاهتمام بالترجمة لم يعد مقصـــورا على الخليفة أو الأمير أو الوالى. بل أن أهل اليسار والغنى التفتوا إلى هذا الاتجاه وأنشاؤا المراكز التى عنيت بنقل الكتب إلى اللغة العربيـــة بعد جلبها من بلاد الروم.

وجلب من يقوم على نقلها. ومن أبرز هذه الأسر أســـرة "بنـــى موسى بن شاكر، محمد وأحمد والحسن" الذين خصصوا داراً للترجمـــة ببغداد، ويذكر من أشهر من عمل بها "حسنين بن إسحق وحبيش بـــن الأعسم وثابت بن قرة" وغيرهم، فيرزقونهم بخمسمائة دينار فى الشهر للنقل والملازمة". والبرامكة كانت لهم اسهاماتهم فى هذا المجال.

فكان البرامكة يسعون إلى إشاعة الثقافة الفارســـية فـــى الـــبلاد الإسلامية، فشجعوا الترجمة، وأمروا بنقل الذخائر الفارسية فى الـــبلاد الإسلامية، وأمروا بنقل الذخائر الفارسية النفسية إلى العربية، ووقفوا لها المترجمين أمثال "الفضل بن نويخت ومحمد بـــن جهـــم البرمكـــى وزادوية بن شاهوية وبهرام بن مراد شاه وموسى بن عيسى الكسروى وعمر بن الفرخان و(سلم) أمين المكتبة فى (بيت الحكمة)، وسهل بـــن هارون "مراجع الترجمات والمتأكد من صحتها ومطابقتها للأصل.

ثم ازدهرت الترجمة مرة أخرى فى عصر المأمون من حيث الكم ومن حيث الكيف.

ففى عهد كثير المترجمون واتسع ازدهار (بيت الحكمة) وتوسعت فى اهتماماتها، فلم تعد مجرد مكتبة أو مدرسة وإنما أيضا أصبحت تحوى مرصدا فلكيا يحكى قصة هذا الرقى.

ويحكيه أيضا طغيان الترجمات فى عهد "المأمون" وخلفه المباشرين على ترجمات المدارس الأقدم عهدا "فلم يصل إلينا سواها".

وهو الذى جعل من شروط الصلح مع أعدائه أن يزودوه بما لديهم من كتب، فقد حصل هذا مع حاكم (صقلية) وتردد الحاكم فى تلبية الطلب إلى أن أشار عليه المطران الأكبر بقوله: «أرسلها إليه، فوالله ما دخلت هذه العلوم فى أمة إلا أفسدتها» فأرسلها إليه. وحصل هذا مع الإمبراطور البيزنطى «ميخائيل الثالث» إذ كان من شروط الصلح أن ينزل هذا للمأمون عن إحدى المكتبات الشهيرة فى القسطنطينية، وقيل إنه كان بين المأمون وملك الروم مراسلات "وقد استظهر عليه المأمون، فكتب إلى ملك الروم يسأله الإذن فى إنقاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم، فأجاب إلى ذلك

بعد امتناع فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم «الحجاج بن مطر» و «ابن البطريق» و«سلم» صاحب بيت الحكمة وغيرهم، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا، فلما حملوه إليه أمرهم بنقله فنقل.

وقد قيل أن «يوحنا بن ماسوية» ممن نفذ إلى بلاد الروم. ومن غريب ما يذكر هنا أن المأمون قد وجه جيش بنبش قبر «كسرى» لما ذكر له أن فى قبره تابوتا فيه كتب القدماء.

ومن أهم المترجمين الذين ركز ابن أبى أصيبعة فى ترجمته لهم على دورهم فى نقل المعارف الطبية الأجنبية أبو زكريا يوحنا بن مأسوية وكان فى أيام الرشيد وقد ولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية التى عثر عليها فى أنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم وقد رتب له الرشيد كتابا حذاقا يكتبون بين يديه.

وهناك أيضا حنين بن إسحق (ت٢٦٤هـ) الذى اشتهر بأنه "شيخ المترجمين العرب" وكان يعرف العربية والسريانية واليونانية والفارسية بل كان عالما فيها على حد تعبير ابن أبى أصيبعة.

وترجع أهمية حنين بن إسحق- بوصفه مؤلفا ومترجما- إلى هضمه لكتب جالينوس وأبقراط وغيرهما وشروح المؤلفات القديمة فى الطب مما أتاح له أن يترك تراثا علميا ضخما فى مجال الطب. فمن مؤلفاته التى ذكرها ابن أبى أصيبعة:

كتاب المسائل وهو المدخل إلى صناعة الطب لأنه قد جمع فيه جملا وجوامع تجرى مجرى المبادئ والأوائل لهذا العلم، وليس جميع هذا الكتاب لحنين بل أن تلميذه الأعسم حبشيا تممه.

ولهذا قال ابن أبى صادق فى شرحه له أن حنينا جمع معانى هذا الكتاب فى طروس ومسودات بيض منها البعض فى مدة حياته.

ثم أن حبيش بن الحسن تلميذه وابن أخته رتب الباقى بعده وزاد فيه من عنده زوائد، وألحقها بما أثبته حنين فى دستوره.

ولذلك يوجد معنونا بكتاب المسائل لحنين بزيادات جيش الأعسم. والذى يوجد فى النسخ من هذا الكتاب أن زيادات حبيش من عند ذكره أوقات الأمراض الأربعة إلى آخر الكتاب.

وقال ابن أبى صادق أن زيادات حبيش إنما هى من الكلام فى الترياق، واستدل على ذلك بأنه قال: ثم أن حنين بن إسحق عمل مقالتين شرح فيهما ما قاله جالينوس فى الترياق.

ولو كان قاله حنين لكان يقول ثم أنى عملت مقالتين شرحت فيهما كذا وكذا.. وقيل أن حنينا شرع فى تأليف هذا الكتاب فى أيام المتوكل، وقد جعله رئيس الأطباء ببغداد.

كتاب العشر مقالات فى العين، وهذا الكتاب يوجد فى نسخه اختلاف كثير، وليس مقالاته على واحد.

فإن بعضها توجد مختصره موجزه فى المعنى الذى هى فيه والبعض الآخر قد طول فيه وزاد عما يوجبه تأليف الكتاب. والسبب فى ذلك أن كل مقاله منه كانت بمفردها من غير التئام لها مع غيرها.

وذلك لأن حنينا يقول فى المقالة الأخيرة من هذا الكتاب أنى قد كنت ألفت منذ نيف وثلاثين سنة فى العين مقالات مفرده، نحوت فيها إلى أغراض شتى.

سألنى تأليفها قوم بعد قوم قال ثم أن حبيشا سألنى أن اجمع له ذلك، وهو تسع مقالات وأجعله كتابا واحدا وأن أضيف له للتسع مقالات الماضية مقاله أخرى أذكر فيها كتبهم لعلل العين. وهذا ذكر أغراض المقالات التى يضمها هذا الكتاب:

- المقالة الأولى: يذكر فيها طبيعة العين وتركيبها.
- المقالة الثانية: يذكر فيها طبيعة الدماغ ومنافعه.
- المقالة الثالثة: يذكر فيها العصب الباصر والروح الباصر وفى نفس الأبصار كيف يكون.
- المقالة الرابعة: فيها جمل الأشياء التى لابد منها فى حفظ الصحة واختلافها.
- المقالة الخامسة: يذكر فيها أسباب الأعراض الكائنة فى العين.
- المقالة السادسة: فى علامات الأمراض التى تحدث فى *العين*.

- المقالة السابعة: يذكر فيها قوى جميع الأدوية عامة.
- المقالة الثامنة: يذكر فيها أجناس الأدوية للعين خاصة وأنواعها.
- المقالة التاسعة: يذكر فيها مداواة أمراض العين.
- المقالة العاشرة: فى الأدوية المركبة الموافقة لعلل العين.

ووجدت مقالة أخرى حادية عشرة لحنين مضافة إلى هذا الكتاب، يذكر فيها علاج الأمراض التى تعرض فى العين بالحديد.

كتاب فى العين: عن طريق المسألة والجواب، ثلاث مقالات، ألفة لولديه داؤد وإسحق، وهو مائتان وتسع مسائل.

اختصار الستة عشر كتابا لجالينوس على طريق المسألة والجواب اختصره أيضا لولدية، وأكثر ما ألفه من الكتب على طريق المسألة والجواب، إنما غرضه بها إلى هذا القصد. كتاب الترياق، مقالتان.

اختصار كتاب جالينوس فى الأدوية المفردة، إحدى عشرة مقالة اختصره بالسريانى، وإنما نقل منه إلى العربى الجزء الأول، وهو خمس مقالات، نقلها لعلى بن يحيى، مقالة فى ذكر ما ترجم من كتب جالينوس وبعض ما لم يترجم كتبها إلى على بن يحيى المنجم مقالة فى نبت الكتب التى لم يذكرها جالينوس فى فهرست كتبه، وصف فيها

جميع ما وجد لجالينوس من الكتب التى لا شك أنها له، وقال: أن جالينوس يكون صنفها بعد وضعه الفهرست.

مقاله فى اعتذاره لجالينوس فيما قاله فى المقالة السابقة من كتاب آراء أبقراط وأفلاطن جمل مقالة جالينوس فى أصناف الغلط الخارج عن الطبيعة، على طريق المسألة والجواب.

جوامع كتاب جالينوس فى الذبول على طريق المسألة والجواب. جوامع كتاب أبقراط الصحيحة وغير الصحيحة.

جوامع كتاب جالينوس فى الحث على تعلم الطب، على طريق المسألة والجواب.

جوامع كتاب المنى لجالينوس، على طريق المسألة والجواب. ثمار تفسير جالينوس، لكتاب الفصول لأبقراط، على طريق المسألة والجواب، سبع مقالات، وكان تأليفه له بالسريانى، وإنما نقل منه إلى العربى المقالة الأولى والثانية والثالثة والرابعة.

وأما الثلاث المقالات الباقية فنقلها إلى العربى عيسى بن صهربخت.

ثمار تفسير جالينوس لكتاب تقدمه المعرفة، على طريق المسألة والجواب.

ثمار تفسير جالينوس لكتاب أبقراط فى تدبير الأمراض الحادة على طريق المسألة والجواب.

ثمار السبع عشرة مقالة الموجودة من كتاب جـــالينوس لكتـــاب أبيذيميا- لأبقراط على طريق المسألة والجواب.

ثمار تفسير جالينوس لكتاب قاطيطريون لأبقـــراط علـــى طريـــق المسألة والجواب، ثمار تفسير جالينوس لكتاب أبقـــراط فـــى الأهويـــة والأزمنة والبلدان على طريق المسألة والجواب، شرح كتـــاب الهـــواء والماء والمساكن لأبقراط لم يتم: شرح كتاب الغـــذاء لأبقـــراط: ثمـــار المقالة الثالثة من تفسير جالينوس لكتاب طبيعة الإنسان لأبقراط، ثمار كتاب أبقراط فى المولدين لثمانية أشهر: فصول استخرجها من كتـــاب أبيذيميا.

فصول استخرجها من كتاب الأهوية والبلدان، ومما فـــى كتـــاب الفصول من الكلام فى الأهوية والبلدان بتفسير جالينوس. مقالـــة فـــى تدبير الناقهين، الفها لابى جعفر محمد بن موسى.

رسالة فى قرص العود، رسالة إلى الطيفورى فى قرص الورد. كتاب إلى المعتمد فيما سأله عنه من الفرق بين الغذاء والدواء السهل، ثلاث مقالات، كتاب قوى الأغذية ثلاث مقالات، كتاب فى كيفيـــة إدراك الديانة مسائل فى البول انتزعها من كتاب أبيديما لأبقراط كتـــاب فـــى النبض، كتاب فى الحميات، كتاب فى البول مستخرج من كتاب أبقـــراط وجالينوس، كتاب فى معرفة أوجاع المعدة وعلاجها، مقالتان، كتاب فى حالات الأعضاء. مقالة فى ماء البقول.

كتاب فى اليبس كتاب فى حفظ الأسنان واللثة، كتاب فيمن يولد لثمانية أشهر، على طريق المسألة والجواب، ألفه لام ولد المتوكل، كتاب فى امتحان الأطباء، كتاب فى طبائع الأغذية وتدبير الابدان كتاب فى أسماء الأدوية المفردة، على حروف المعجم، كتاب فى مسائلة العربية، كتاب فى تسمية الأعضاء على ما رتبها جالينوس، كتاب فى تركيب العين، مقالة فى المد والجزر، كتاب فى أفعال الشمس والقمر، كتاب فى تدبير السوداويين، كتاب فى تدبير الأصحاء بالمطعم والمشرب.

كتاب فى اللبن، كتاب فى تدبير المستسقين كتاب فى أسرار الأدوية المركبة، كتاب فيما يقرأ كتب أفلاطون، مقالة فى تولد النار بين الحجرين.

كتاب الفوائد، ومقالة فى الحمام، مقالة فى الاجال مقالة فى الدغدغة، مقالة فى ضيق النفس. كتاب فى اختلاف الطعوم، كتاب فى تشريح آلات الغذاء، ثلاث مقالات، تفسير فى كتاب النفخ لأبقراط، تفسير كتاب حفظ الصحة لروفس، تفسير كتاب الأدوية المكتومة لجالينوس يبين فيه شرح ما ذكره جالينوس فى كل واحد من الأدوية.

رسالة إلى سلموية بن بنان عما سأله من ترجمة مقالة جالينوس، فى العادات.

كتاب فى أحكام الأعراب على مذهب اليونانيين، مقالتان: مقالة فى السبب الذى من أجله صارت مياه البحر مالحة، مقالة فى الألوان.

كتاب قاطيغورياس على رأى ثامسطيوس، مقالة. مقالة فى تولد الحصاة مقالة فى اختيار الأدوية المحرقة. كتاب فى مياه الحمامات على طريق المسألة والجواب.

كتاب نوادر الفلاسفة والحكماء وآداب المعلمين القدماء، كناش اختصره من كتاب بولس.

مقالة فى تقاسيم علل العين. كتاب اختيار أدوية علل العين مقالة فى الصراع كتاب الفلاحة، مقالة فى التركيب مما وافقه عليه الفضلان أبقراط وجالينوس: مقالة تتعلق بحفظ الصحة وغيرها، كلام فى الآثار العلوية مقالة فى قوس قزح.

جَلّ بعض شكوك جاسيوس الإسكندرانى على كتاب الأعضاء الألمة لجالينوس رسالة فيما أصابة من المحن والشدائد كتاب إلى على بن يحيى جواب كتابه فيما دعاه إليه من دين الإسلام.

جوامع ما فى المقالة الأولى والثانية والثالثة من كتاب أبيديميا لأبقراط على طريق المسألة والجواب. مقالة فى كون الجنين جمع من أقوايل جالينوس وأبقراط.

جوامع تفسير القدماء اليونانيين لكتاب أرسطو طاليس فى السماء والعالم مسائل مقدمة لكتاب فرفوريوس المعروف بالمدخل، وينبغى أن يقرأ قبل كتاب فرفوريوس شرح كتاب الفراسة لأرسطاطليس.

كتاب دفع مضار الأغذية، كتاب الزينة، كتاب خواص الأحجار،كتاب البيطرة، كتاب حفظ الأسنان. كتاب فى إدراك حقيقة الأديان.

ومما سبق يتضح أن تعليم الطب فى العراق لم يكن منظما بشكل مدرسى أو على الأقل لا يمكننا استنتاج ذلك من خلال كتاب ابن أبى أصيبعة كما هو الحال فى الإسكندرية على نحو ما سيظهر تفصيليا فى مبحث قادم. وإنما تمثلت النهضة المعرفية الطبية فى العراق فى الترجمة والتأليف بالدرجة الأولى.

وفيما يلى نبذ عن أشهر المترجمين الأطباء:

١. أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندى (٨٠٩- ٨٧٣م):

فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها يعرف بابن الصباح الكندى وكان عالما بالطب والفلسفة والحساب والهندسة والمنطق وعلم النجوم، وتأليف اللحون وطبائع الأعداد، وهو يمت بالنسب إلى الأشعث ابن قيس ملك كنده، ومن أصحاب الرسول.

وكان أبوه أميرا على الكوفة، درس فى بادئ أمره فى بلدة البصرة، ثم أتم تحصيله على أشهر العلماء فى بغداد فنبغ فى العلوم وأصبح عالما يشار إليه، وقد أوجد بعلمه لشخصه مكانا ذا حرمة واعتبار عند خلفاء بنى العباس، حتى أن الخليفة المأمون انتخبه ليكون أحد الذين يعهد إليهم فى ترجمة مؤلفات أرسطو وغيره من حكماء اليونان، وكان عظيم المنزلة عند المعتصم وعند ابنه أحمد، ولم يخل الكندى من أناس يناصبونه العداء إما حسدا وإما غير ذلك.

ويعد الكندى أول من احتذى حذو أرسطو طاليس، وكان ملما بحكمه الهنود وفسر كثيرا من كتب الفلسفة ووضع بعض النظريات الفلسفية فى قالب مفهوم حتى أن كتبه فى المنطق وغيره لقيت اقبالا عظيما، مما جعل حساده يحاولون النيل منه بشتى الوسائل، وقد استطاعوا أن يوقعوا بينه وبين الخليفة ولكن إلى زمن لم يطل أمده. كان الكندى مهندسا قديرا، كما كان طبيبا حاذقا، وفيلسوفا عظيماً، ومنجما ماهرا، وقد ترك آثارا كبارا جليلة جعلت العالم الإيطالى كاردانو يعده من بين الاثنى عشر عبقريا الذين هم من أهل الطراز الأول فى الذكاء، وجعلت أيضا باكون الشهير يقول: إن الكندى والحسن بن الهيثم فى الصف الأول مع بطليموس.

ويقول صالح زكى فى كتاب «آثار باقية»: أن الكندى أول من حاز لقب فيلسوف الإسلام.. ويقال أنه نهى عن الاشتغال بالسيمياء

للحصول على الذهب (علم الصنعة)، وقال إن فى ذلـــك تضـــييعا للوقت والمال، وقد ألف فى هذا الموضوع رسالة سماها "رســـالة فـــى بطلان دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة وخداعهم"، وقـــد أفـــادت رسالته هذه بعض معاصرين والذين أتوا بعده، إذ لا يخفى أن كثيرا من علماء القرون الوسطى أضاعوا معظم أوقاتهم فى صـــناعة الحصـــول على الذهب.

وله مؤلفات فى المرئيات والبصريات، وكان لبحوثه هذه تـــأثير كبير فى دراسات باكون وواتيل، وكتب أيضا فى الموسيقى.

وللكندى مآثر جمة تظهر فى أكثر العلوم بل تكاد تسجلها كلهـــا، فقد ألف فى الفلسفة وعلم السياسة والمنطق والحســـاب والموســـيقى والهندسة والفلك والطب، وقد أتى على أسماء أكثرها كتاب "الفهـــرس" لابن النديم، وتربوا على ٢٥٠ كتابا، وله فوق ذلك رسائل فـــى علـــم المعادن وأنواع الجواهر والأشياء وفى أنواع الحديد والسيوف وجيدها.

أخذ عن الكندى طلاب كثيرون منهم أبو العباس بن محمـــد بـــن مروان السرخسى وكان متفننا فى علوم كثيرة مـــن علـــوم القـــدماء والعرب، قرأ على الكندى وعنه أخذ، وكان موضـــع ســـر المعتضـــد، وكذلك أبو زيد أحمد بن سهل البلخى أخذ عن الكندى، وكان له مقـــام رفيع ودعى جاحظ خراسان، ومن تلاميذه أيضـــا حســـنويه ونفطويـــه وسلمويه وغيرهم كثيرون، وخلاصة القـــول: كـــان الكنـــدى مدرســـة ترجمت الكتب ولخصت المطولات وبسطت العويص ونشرت العلوم.

ثابت بن قرة (٨٢٦- ٩٠١م) وولده سنان:

ولد ثابت بن جران من الجزيرة العربية وعمل فيها صيرفيا، وقد رآه محمد بن موسى من رجال الخليفة المعتضد فصيحا فعلمه العلــوم والطب ووصله بالمعتضد، وكان من الذين تعددت نواحى عبقريتهم.

فنبغ فى الطب والرياضيات والفلك والفلسفة ووضع فــى هــذه كلها وغيرها مؤلفات جليلة كما ترجم كتبا عديدة، كان جيد النقل إلــى اللغة العربية، قوى المعرفة باللغة السريانية، ذكرة القاضى الطليطلسى فقال عنه: أنه فيلسوف متوسع فى العلوم عاصــر إســحاق الكنــدى وقسطا بن لوقا، وكانوا ثلاثتهم أعلاما فى مملكة الإسلام بعلم الفلسفة.

وقد احترمه الخليفة المعتضد احتراما بالغا. ومما يذكر فى هــذا الصدد أن ثابتا كان يمشى مع المعتضد فى الفردوس، بستان الخليفــة، وكان المعتضد متكئا على يد ثابت وهما يتماشيان ثم نثر المعتضد يــده من يد ثابت بشدة ففزع ثابت، فقال له المعتضد، يا أبا الحسن- وكــان فى الخلوات يكنيه وفى الملأ يسميه- سهوت، ووضعت يدى على يدك، وليس هكذا يجب أن يكون، فإن العلماء يعلون ولا يعلون.

لم يحفظ الزمن من كتب ثابت الكثيرة إلا النزر اليسير، فقد فقدت كلها أو تفرقت ولثابت أقوال طبية حكيمة اشتملت عليها كتبه، نخــص بالذكر منها قولا عزاه الغربيون إليهم وانتحلوه لأنفسهم، ويتعلق هــذا القول بزواج المسنين بالشابات وهو: "ليس أضر بالشيخ من أن يكون

له طباخ حاذق وامرأة حسناء، لأنه يستكثر من الطعام فيستقم ومن النكاح فيهرم".

وكان لثابت ولد وهو: أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة الحرانى توفى فى بغداد سنة ٩٣٤م، كان طبيبا مقدما كأبيه وكان طبيب المقتدر خصيصا به، وقد عظمت منزلته فى أيامه حتى صار رئيسا على الأطباء غلط على مريض فمات، فأمر محتسبه بمنع جميع الأطباء إلا من امتحنه سنان بن ثابت، وكتب له رقعة بما يطلق له التصرف فى ذلك. ومن أخباره أنه لما مات الراضى بالله استدعى الأمير أبو الحسين "بحكم" سنانا وقال له: أريد أعتمد عليك فى تدبير بدنى وتفقد جسمى والنظر فى مصالحه وفى أمر أخلاقى، لثقتى بعقلك وفضلك ودينك ومروءتك، فقد غلبنى الغضب وغمنى حتى أننى أخرج إلى ما أندم عليه عند سكونه، وأسألك أن تتفقد عيوبى وتصدقنى فيها وترشدنى إلى علاجها لتزول عنى، فقال سنان: السمع والطاعة، وليستمع الأمير منى بالعاجل جملة علاج ما أنكره من نفسه إلى أن يجيئه التفصيل فى أوقاته: "أعلم أيها الأمير أنك قد أصبحت وليس فوق يدك يد لأحد من المخلوقين، وأنك مالك ما تريده، قادر عليه أى وقت أردته، ولا يمكن لأحد منعك منه، وأعلم أن الغضب والغيظ يحدثان سكرا أشد من سكر النبيذ، وكما أن الإنسان يفعل فى سكره ما يعقل ولا يذكره إذا صحا ويندم عليه إذا حدث به استيحاء، كذلك يحدث له فى سكر الغضب

والغيظ، بل أشد. فإذا بدأ بك الغضب وأحسست به فأخر العقوبة إلى غد واثقا بأن ما تريد أن تفعله فى الوقت لا يفوتك عمله فى غد، وقد قيل: من لم يخف فوتا حلم، فإنك إذا فعلت ذلك ذهب السكر وتمكنت من العقل والرأى الصحيح.

وقد قيل: أصح ما يكون الإنسان إذا استدبر ليله واستقبل نهاره، فإذا صحوت من سكرك الغضبى فتأمل الذى أغضبك، ولا تشف غيظك بما يؤتمك، فقد قيل: ما شفى غيظة من أثم بذنبه، واذكر قدرة الله عليك، وأنك محتاج إلى عفوه، ورحمته، وخاصة فى أوقات الشدائد، وأذكر دائما قوله تعالى:

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

[سورة النور: الآية ٢٢]

وقوله تعالى:

﴿...وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [سورة البقرة:٢٣٧]

" فأن أوجبت الحال العفو فأعف، وإن كان الخطأ مما لا يحتمل العفو عاقبت حينئذ على قدر الذنب، ولم تتجاوزه إلى ما يفسد به أمرك ويقبح عند الناس ذكرك. وإذا أخذت نفسك بهذه مرة وثانية وثالثة صارت بعد ذلك سجية لك وعادة "فاستحسن الأمير قوله ولم يزل يصلح أخلاقه شيئا فشيئا، حتى صلحت واستقامت واستطابت فعل الخيار

ورفع الظلم والجور، وبأن له أن العدل أربح للسلطان فعمل" بواسطة وقت المجاعة دار ضيافة، وبغداد مارستانا وأكرم سنانا غاية الإكرام وعظمة غاية التعظيم، وكانت منزلة سنان كبيرة عند الامراء والوزراء، فمن ذلك أن الوزير على بن عيسى بن الجراح كتب إلى سنان بتوقيعه فى سنة كثرت فيها الأمراض والأوباء نسخة يقول فيها:

"فكرت- مد الله فى عمرك- فى أمر من الحبوس، وأنهم لا يخلون مع كثرة عددهم وجفاء أماكنهم أن تنالهم الأمراض، وهم معوقون من التصرف فى منافعهم، ولقاء من يشاورونه من الأطباء فى أمراضهم، فينبغى- أكرمك الله- أن تنفذ لهم أطباء يدخلون إليهم فى كل يوم ويحملون معهم الأدوية والأشربة ليعالجوا المرضى ويريحوا عللهم بما يصفونه لهم من العلاج". ففعل سنان ذلك ثم وقع إليه توقيعا أخر نسخته: "فكرت فيمن بالسواد من أهله وألا يخلو من أن يكون فيه مرضى لا يشرف متطيب عليهم لخلو السواد من الأطباء، فتقدم- مد الله فى عمرك- بإنفاذ متطببين وخزانة من الأدوية والأشربة ليطوفوا فى السواد ويقيموا فى كل صقع منه مده ما تدعو الحاجة إلى مقامهم، ويعالجوا من فيه ثم ينقلون إلى غيره"، ففعل سنان ذلك.

وفى سنة ست وثلثمائة أشار سنان بن ثابت على المقتدر بأن يتخذ مستشفى ينسب إليه فأمره باتخاذه، فأتخذ له فى باب الشام وسماه البيمارستان المقتدرى وفى أول يوم محرم سنة ست وثلثمائة

فتح سنان بن ثابت بيمارستان السيدة الذى اتخذه لهـــا بســـوق يحيى وجلس فيه ورتب المتطببين به، وكانت النفقة عليه علـــى يـــدى يوسف بن يحيى المنجم، لأن سنانا لم يدخل فى يده شيئا مـــن نفقـــات البيمارستان، ولسنان مؤلفات كثيرة فى علم الطب.

٢. على بن ربن الطبرى:

من رجال القرن التاسع الميلادى وهو نجل المنجـــل ســـهل بـــن الطبرى كان مولده ومنشؤه بطبرستان يتصرف فى خدمة ولاتها ويقرأ علم الحكمة، وقد جرت فيها فتنة فأخرجه أهلها إلى الرى فقصد بغـــداد واستقر فى سر من رأى والف فيها كتابة المشهور "فردوس الحكمـــة" وهو موسوعة مشتملة على علوم طبية، وغير طبية، وقد اقتبس مـــا جاء فيها من مصادر يونانية وهندية، وزعم بعض المؤلفين أن الطبرى هذا كان موسويا بحجة أن كلمة ربان تطلق على من له تقدم فى علـــم اليهود، وشريعتهم، على أن عددا من المحققين استطاعوا أن يتبينـــوا خطأ هذا الزعم إذ تبين لهم من الرجوع إلى كلمة ربـــان فـــى اللغـــة السريانية أنها تطلق على من بلغوا درجة المعلمـــين والأســـاتذة مـــن النصارى.

استخدم على الطبرى عدة سنين كاتبا عند الأمير الفارسى مزيار بن كريم، فأرسله مندوبا عنه إلى بغداد والرى واستقر الطبـــرى فـــى بغداد سنة ٨٤١على أثر إعدام سيدة المزيار فى طبرستان، وقد قرب

الحكام فى بغداد الطبرى، فجعله كل من الخلفاء المعتصم والواثق والمتوكل كاتبا له، وقد اعتنق الإسلام فى زمن المتوكل وذلك سنة ٨٥٠م وكتب فى سنة ٨٥٥م كتابا فى الأديان بين فى محاسن الإسلام. وقد سعى براون لترجمة كتاب «فردوس الحكمة» وقد مات دون أن تحقق أمنيته فقام تلميذه محمد زيد الصديقى سنة ١٩٢٨ بترجمة قسم من كتاب «فردوس الحكمة» وقد أوصى الطبرى قارئ كتابه أن يمعن النظر فيه، فقد شبهه بحديقة غناء فيها الأزهار الذكية والأثمار الشهية، فيها ما يلذ لكل نفس ويطرب به كل حس، وأنه كما لا يجوز الاكتفاء لتقدير ما فى الحديقة الغناء من مفاتن بالنظر إليها من خلال أبوابها ولابد من الاطلاع بامعان على كل ما فيها لتقدير روعتها، كذلك الأمر فى كتابه فلا يستطيع الباحث معروفه ما فيه من النفائس إذا اكتفى بالعناوين ولم يتعمق فيما جاء فيه من كلمات بينات، وإن شأن المتصفح كتابه تصفحا سطحيا هو شأن الناظر إلى الفردوس من بعيد، وهذا الكتاب مختصر جميل التصنيف، لطيف التأليف، ضمنه بعض أبحاث من الفلسفة وعلوم الحيوان والجنين والنفس.

وللطبرى أقوال حكيمة منها قوله: الطبيب الجاهل مستحث الموت. طول التجاوب زيادة فى العقل. التكلف يورث الخسارة- شر القول ما نقض بعضه بعضا.

٣.قسطا بن لوقا البعلبكى الشامى (٨٢٠- ٩١٢م):

يعتبر من فلاسفة اليونانيين المتأخرين، كان فى أيام المقتدر بالله عاصر الكندى المتوفى نحو ٢٥٥هـ وثابت بن قرة المتوفى فى سنة ٢٨٨هـ. وهو من الشام وسافر إلى بلاد الروم ثم عاد إلى الشام واستدعى إلى العراق ليترجم كتبا من لسان اليونان إلى لسان العرب. كان بارعا فى علوم كثيرة منها الطب والفلسفة والهندسة والإعداد والموسيقى، كما كان فصيحا فى اللغة اليونانية خبيرا باللغة العربية، ونقل قسطا كتباً كثيرة من كتب اليونانيين إلى اللغة العربية، وكان جهد النقل، وله رسائل وكتب كثيرة فى صناعة الطب وغيرها وكان حسن العبارة جيد القريحة.

٤.أبو داود سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل:

من أطباء القرن العاشر للميلاد، أصله من صقلية، عاش فى قرطبة، كان طبيبا فاضلا خبيرا بالمعالجات جيد التصرف فى صناعة الطب، عاصر عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر، أسهم فى عصرهما بقسط كبير من علمه ومجهوده، إلا أنه نبغ واشتهر فى ولاية المؤيد بالله هشام الثانى وألف فى عهده أكثر كتبه.

وقد فسر أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريديس، وأفصح عن مكنونها، وأوضح مستغلق مضمونها، ويقول ابن جلجل فى صدد الكتاب المذكور: «وكان لى حرص شديد على تصحيح الكتاب، لأننى خفت أن يدرس وتذهب منفعته إلى الأبد، فالله قد خلق الشفاء وبثه فيما أنبتته الأرض واستقر عليها من الحيوان المشاء، والسابح فى الماء، والمنساب، وما يكون تحت الأرض فى جوفها من المعدنية، كل ذلك فيه شفاء ورحمة ورفق".

ولابن جلجل مقالة فى ذكر الأدوية المفردة التى لم يذكرها ديسقوريديس فى كتابه مما يستعمل فى صناعة الطب، وينتفع به وما لا يستعمل لكيلا يغفل ذكره، وقال ابن جلجل: أن ديسقوريدس أغفل ذلك ولم يذكره أما لأنه لم يره ولم يشاهده عيانا، وأما لأن ذلك كان غير مستعمل فى دهره وأبناء جنسه، وألف رسالة «التبيين فيما غلط فيه بعض المتطببين» ووضع كتابا ضمنه ذكر شئ من أخبار الأطباء والفلاسفة ألفه فى أيام المؤيد بالله، وقد ساهم بتصحيح ترجمة كتاب ديسقوريديس.

الآثار التربوية للترجمة:

وقد أثمرت حركة الترجمة ثمارا تربوية قيمة أهميها:

- أولاً: اشتغال المسلمين بدراسة الكتب المترجمة وشرحها والتعليق عليها وأبرز مثال على ذلك الطبيب الفيلسوف الكندى (يعقوب بن اسحق ت ٢٥٧هـ).

- ثانياً: تعمق المسلمين فى العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفة واللاهوت والمنطق وكلها كانت علوما جديدة على المجتمعات الإسلامية.
- ثالثاً: نشوء حرفة «الوِرَاقة» – بكسر الواو– بمعنـــى استنســاخ الكتب المترجمة وبيعها لمن يرغب فى اقتنائها.
- رابعاً: نشوء الجانب التطبيقى للعلم والذى تمثل فى إنشاء المراصد وغيرها من الآلات العلمية. كما تمثل فى توصل العرب إلى إنتــاج الأدوية بصور مختلفة كالشراف والحبــوب والأقــراض والحقــن والمراهم والمساحيق وغيرها وكل ذلك واضح فى ثنايا كتاب ابــن أبى أصيبعة.
- خامساً: تغيير البناء الطبقى للمجتمع إذ أصــبح العامــل العلمــى كالتأليف والترجمة من أهم عوامل التــدرج الإجتمــاعي وارتفــاع المكانة الاجتماعية نظرا لاهتمام الحكام والأمراء بالنواحى العلمية.

المبحث الرابع
مراحل تعليم الطب

مراحل تعليم الطب

تحدث ابن أبى أصيبعة عن تعليم الطب فى مصر دون أن يهـتم بتحديد تواريخ دقيقة للظواهر العلمية- التعليمية التى تناولها.

ولكن من الممكن الاستناد إلى بعض إشاراته الجانبية والقول بأنه أرخ لتعليم الطب فى الإسكندرية قبيل وأثناء الفتح الإسلامى لمصر سنة ٢٠ هـ فهو ينقل عن المختار بن الحسن بن بطلان (من أهل بغـداد) قوله:

"إن الإسكندرانيين الذين جمعوا كتب جـالينوس السـتة عشـر وفسروها كانوا سبعة وهم: اصـطفن، وجاسـيوس، وثاودوسـيوس، وأكيلاوس، وانقيلاوس، وفلاذيوس، ويحيى النحـوى، وكـانوا علـى مذهب المسيح" (ص١٥١).

ثم يقول: "وعمر مـن هـؤلاء الإسـكندرانيين يحيـى النحـوى الإسكندرانى حتى لحق أوائل الإسلام. . وكان فى أول أمـر اسـقفانى بعض الكنائس بمصر.

ولما فتحت مصر على يدى عمرو بن العاص رضى الله عنه دخل إليه وأكرمه ورأى له موضعا. (ص ص ١٥١- ١٥٢).

ويذكر أن الإسكندرانيين كانوا يعلمون الطب من خلال تدريس كتب جالينوس الستة عشر فى سبع مراحل أو مراتب:

❖ المرحلة الأولى:

جعلوها بمنزلة المدخل إلى صناعة الطب ويدرس فيها الطالب أربعة كتب:

- كتاب "الفرق" ويتناول المبادئ العامة للعلاج حسب التجربة أو القياس.
- كتاب "الصناعة الصغيرة" ويتناول المبادئ العامة للطب النظرى والعملى.
- كتاب "النبض الصغير" ويتناول المبادئ العامة لاستخدام النص كوسيلة للتشخيص.
- كتاب "أغلوقن"- تسمية اغريقية- يتناول التأنى فى شفاء الأمراض.

❖ المرحلة الثانية:

تدرس فيها أربعة كتب أيضا هى:

- كتاب «الاسقطسات» ويصفه ابن أبى أصيبعة بأنه أول كتاب يصلح أن يبدأ به من أراد استكمال صناعة الطب. ويتناول هذا الكتاب الجسم الإنسانى وما يطرأ عليه من تغييرات.

- وعلى حد تعبير ابن أبى أصيبعة فأن هذا الكتاب:
- "يستفاد منه أن بدن الإنسان وجميع ما يحتاج إليه سريع التغير قابل للاستحالة، فمن ذلك اسقطسات البدن القريبة منه وهى الأعضاء المتشابهة الأجزاء- أعنى العظام والأعصاب والشرايين والعروق والاغشية واللحم والشحم وغير ذلك، واسقطسات هذه الأعضاء الأخلاط – أعنى الدم والصفراء والسوداء والبلغم، واستقطسات هذه الأخلاط النار والهواء والماء والأرض، فإن مبدأ التكوين من هذه الأربعة، وأخذ الانحلال إليها. وأن هذه الاسقطسات قابلة للتغيير والاستحالة. وهذا الكتاب هو أول كتاب يصلح أن يبدأ به من أراد استكمال تعليم صناعة الطب".
- كتاب «المزاج» ويستفاد منه معرفة أصناف المزاج وبم يتقوم كل واحد منها ولعله يقصد بهذا ما يشيع فى الكتب القديمة من أن لكل إنسان مزاجا خاصا به يدل على طبيعته التى قسموها إلى أربعة أنواع: نارية وترابية وهوائية ومائية.
- كتاب «القوى الطبيعية» ويتناول القوى التى تؤثر فى البلدان وأسباب تأثيرها وأعراضها.

كتاب «التشريح الصغير» ويتناول التعريف بأعضاء البدن وخواصها ويشير ابن أبى أصيبعة إلى أن هذه المرحلة من المراحل المبكرة لتعليم الطب تهدف إلى تشويق طالب الطب إلى التعمق فى دراسة

بقية مؤلفات جالينوس فيقول: "وهذه الكتب التى فى هذه المرتبة الثانية يستفاد من جميعها الأمور الطبيعية للبدن، أعنى التى قوامه بها. وإذا نظر فيها محب التعليم اشتاق أيضا إلى النظر فى كل ما يتعلق بطبيعة البدن. أما كتاب المناخ فيشير فيه إلى مقالته فى خصب البدن، ومقالته فى الهيئة الفاضلة، ومقالته فى سوء المزاج المختلف وكتابه فى الأدوية المفردة ونحو هذا وأما كتاب القوى الطبيعية فيشوق إلى كتابة فى المنى، وكتابه فى منافع الأعضاء وسائر ما وضعه جالينوس فى القوى والأرواح والأفعال. وأما كتاب التشريح الصغير فيشوق إلى كتابة فى عمل التشريح ونحوه".

❖ المرحلة الثالثة:

ويدرس فيها الطلاب ما يسمى فى كليات الطب المعاصرة باسم(البثالوجيا) أو علم معرفة الأمراض وأعراضها وهى مرحلة متوسطة فى دراسة الطب.

يقول ابن أبى أصيبعة عن هذه المرحلة:

"وأما المرتبة الثالثة: فكتاب واحد فقط فيه ست مقالات، وهو كتاب "العلل والأعراض" وجالينوس وضع مقالات هذا الكتاب متفرقة، وإنما الاسكندرانيون جمعوها وجعلوها فى كتاب واحد. يستفاد منه معرفة الأمراض وأسبابها والأعراض الحادثة عن الأمراض.

وهذا باب عظيم الغناء فى صناعة الطب، على رأى أصحاب القياس وهو أصل عظيم، إذا وقف الإنسان على ما فى هذا الكتاب وفهمه لم يخف عليه شئ من صناعة الطب".

❖ المرحلة الرابعة:

وتغطى الدراسة فيها الأمراض الباطنية على مستويين أولهما تدرس فيه أعراض الأمراض الباطنة من خلال المظاهر البدنية الخارجية أى أن التشخيص هنا يقوم على الملاحظة، والمستوى الثانى تدرس فيه الأمراض الباطنية بدلالة النبض.

يقول ابن أبى أصبيعة: وأما المرتبة الرابعة فكتابان أحدهما:

كتاب "تعرف علل الأعضاء الباطنة" ست مقالات، يستفاد منه تعريف كل علة من العلل التى تحدث فى الأعضاء الباطنة، فإن هذه الأعضاء لا تدرك أمراضها بالعيان لأنها خفية عن الحس. فيحتاج إلى أن يستدل عليها بعلامات تقوم كل واحدة منها، فإذا ظهرت العلامات المقومة تيقن أن العضو الفلانى علة كذا.

مثاله: ذات الجنب: ورم حار يحدث فى الغشاء المستبطن للأضلاع والعلامة التى تقومه ضيق النفس، والوجع الناخس والحمى والسعال. فإن هذه إذا اجتمعت علم أن فى الغشاء المستبطن للأضلاع ورما حارا.

ولم يضع جالينوس كتابا فى تعرف علل الأعضاء الظاهرة إذا كانت هذه العلل تقع تحت العيان فيكتفى فى تعريفها نظرها بين يدى المعلمين عيانا فقط.

والثانى «كتاب النبض الكبير» وهو ينقسم إلى أربعة أجزاء، كل جزء منه أربع مقالات. يستفاد من الجزء الأول منه: معرفة أصناف النبض، وجزئيات كل صنف منها.

ومن الثانى: تعريف إدراك كل واحد من أصناف النبض، ومن الثالث: تعريف أسباب النبض. ومن الرابع: تعريف منافع أصناف النبض. وهذا باب عظيم النفع فى الاستدلال على الأمراض ومعرفة قواها ونسبتها إلى قوة البدن.

❖ المرحلة الخامسة:

وهى مخصصة لدراسة الأمراض المعدية كالحميات وما شابهها.

ويدرس فيه الطالب ثلاثة كتب تستوفى أصناف هذه الأمراض وأعراض كل منها ومضاعفاته وطرق علاجه.

يقول ابن أبى أصيبعة: وأما المرتبة الخامسة فثلاثة كتب:

- الأول منها: «كتاب الحميات» مقالتان. يستفاد منه معرفة طبائع أصناف الحميات، وما يستدل به على كل صنف منها.

- والثانى

«كتاب البحران» ثلاث مقالات يستفاد منه معرفة أوقات المرضى ليعطى فى كل وقت منها ما يوافق فيه، ومعرفة ما يؤول إليه الحال فى كل واحد من الأمراض هل يؤول أمره إلى السلامة أم لا؟ وكيف يكون؟ وبماذا يكون؟.

- والثالث: «كتاب أيام البحران» وهو أيضا ثلاث مقالات. يستفاد منه معرفة أوقات البحران، ومعرفة الأيام التى يكون فيها، وأسباب ذلك وعلاماته.

❖ المرحلة السادسة:

وبها تبدأ الدراسة التطبيقية بعد أن يكون الطالب قد أحاط علما بالتشريح والأمراض. وفى هذه المرحلة تبدأ دراسة طرق العلاج وتشبه ما يسمى بعلم دراسة الأدوية فى لغتنا المعاصرة.

يقول ابن أبى أصيبعة:

وأما المرتبة السادسة فكتاب واحد. وهو «كتاب حيلة البر» أربع عشرة مقالة يستفاد منه قوانين العلاج على رأى أصحاب القياس فى كل واحد من الأمراض. وهذا الكتاب إذا نظر فيه الإنسان اضطره إلى أن ينظر فى كتاب الأدوية المفردة، وفى كتب جالينوس فى الأدوية المركبة- أعنى قاطاجانس، والميامر، وكتاب المعجونات ونحو هذه الكتب.

❖ المرحلة السابعة:

وعلى الرغم من أن هذه المرحلة هى المرحلة الأخيرة فى دراسة الطب فإن الاهتمام فيها ينصب على الوقاية كما هو واضح من كلامه. إذ يقول عنها:

وأما المرتبة السابعة فكتاب واحد. وهو «كتاب تدبير الأصحاء» ست مقالات يستفاد منه حفظ صحة كل واحد من الأبدان وهذا الكتاب إذا نظر فيه الإنسان اضطره إلى أن ينظر فى كتاب الأغذية، وفى كتابه فى جودة الكيموس ورداءته، وفى كتابه فى التدبير الملطف، وفى شرائط الرياضة. مثال ذلك: ما فى كتاب جالينوس فى الرياضة بالكرة الصغيرة ونحو هذا.

رأى ابن أبى أصيبعة في هذا التقسيم:

إن التدريس فى المراحل السابقة لم يكن يتم على شكل «سلم تعليمى» أو دراسة نظامية خاضعة لوقت زمنى محدد. بل كان يتم كما هو معروف باسم (المدارس عديمة الصفوف) *Ungnaded Schools* بمعنى أن الطالب ينتقل من المرحلة إلى المرحلة التالية فور انتهائه من متطلبات المرحلة الأولى وفقا لقدراته.

وقد علق ابن أبى أصيبعة على هذا التقسيم بقوله:

"فالكتب الستة عشر التى اقتصر الإسكندرانيون على تعليمها تدعو الناظر فيها إلى النظر فى جميع كتب جالينوس التى استكمل بها صناعة الطب، مثال ذلك: أن النظر فى كتاب «آلة الشم» يتعلق بما فى المرتبة الثانية. والنظر فى

كتابه «فى علل التنفس» يتعلق أيضا بهذه المرتبـــة.والنظر فـــى كتابة «فى سوء التنفس»، وفى كتابه «فى منفعة التـــنفس»، وكتابـــة «فى منفعة النبض» وكتابة «فى حركة الصدر والرئة» وكتابـــه «فـــى الصوت»، وكتابه «فى الحركـــات المعتاصـــة»، وكتابـــة «فـــى أدوار الحميات»، وكتابه «فى أوقات الأمراض»، وغير ذلك من كتبه ومقالاته ورسائله. كل واحد منها له تعلق بواحدة من المراتب السبع.

أو بأكثر من مرتبة واحدة تدعو الضرورة إلى النظر فيه، فإذا ما فعله الاسكندرانيون فى ذلك حيلة حسنة فى حث المشتغل بهـــا علـــى التبحر فى صناعة الطب، وأن تؤديه العناية والاجتهاد إلى النظر فـــى سائر كتب جالينوس.

قال أبو الفرج ابن هندو فى كتاب «مفتـــاح الطـــب»: إن هـــذه- الكتب التى اتخذها الاسكندرانيون من كتب جالينوس وعملوا لها جوامع وزعموا أنها تغنى عن متون كتب جالينوس، وتكفى كلفة ما فيها مـــن التوابع والفصول". قال أبو الخير بن الخمار وهو استاذ أبى الفرج بـــن هندو، "أنا أظن أنهم قد قصروا فيما جمعوا من ذلك، لأنهـــم يعـــوزهم الكلام فى الأغذية والاهوية والأدوية".

قال والترتيب أيضا قصروا فيه، لأن جالينوس بدأ فى التشريح ثم صار إلى القوى والأفعال ثم إلى الاسطقسات".

قـــــــــــال أبـــــــــــو الفـــــــــــرج

"وأنا أرى أن الإسكندرانيين إنما اقتصروا على الكتب الستة عشر، لا من حيث هى كافية فى الطب وحاوية للغرض، بل من حيث افتقرت إلى المعلم واحتاجت إلى المفسر. ولم يكن أن يقف المتعلم على أسـرارها والمعانى الغامضة فيها من غير مذاكرة ومطارحة، ومن دون مراجعـة ومفاوضة.

وبعد أن أورد ابن أبى أصيبعة الرأيين السابقين لأبى الفرج بـن هندو [(١)] وأبى الخير بن الخمار [(٢)] انتقد آراءهما فقال:

"فأما الكتب التى ذكرها الأستاذ أبو الخير بن الخمـار فالطبيـب مضطر إلى معرفتها وإضافتها إلى الكتب التى عددناها.

غير أنه يمكنه من نفسه الوقـوف علـى معانيهـا، واسـتنباط الأغراض منها بالقوة المستفادة من الستة عشر التى هى القوانين لما سواها ، والمراقى إلى ما عداها.

فإن قلت :فما حجة الإسكندرانيين فى ترتيبهم لهذه الكتب؟ قلنا: إنهم رتبوا بعضها بحسب استحقاقه فى نفسه،بمنزلة كتاب الفرق، فإنه وجب تقديمه لتنتقى به نفس المتعلم من شـكوك أصـحاب التجربـة، والمحتالين ومغالطتهم، ويتحقق رأى أصحاب القياس فيقتـدى بهـم. وبمنزلة الصناعة الصغيرة، فإنها لما

---

(١) هو على بن الحسين بن هندو من أكبر المتميزين فى العلوم الحكيمة والطبية، والفنون الأدبية وهو من طبقة الأطباء الذين ظهروا فى بلاد العجم.

(٢) وهو الحسن بن سوار المعروف بأبن الخمار وكان نصرانيا عالما بأصول الطب وفروعه وله مصنفات جليلة. وقد نقل كتبا كثيرة من السريانى إلى العربى. ولد سنة ٣٣١هـ.

كانت فيها شرارة من صناعة الطب، كان الأولى أن يتبع بها كتاب الفرق ويجعل مدخلا إلى الطب. ورتبوا بعضها بحسب ما توجيه إضافته إلى غيره بمنزلة الكتاب الصغير فى النبض، فإنه جعل تابعا للصناعة الصغيرة، لأن جالينوس ذكر فيها النبض عند ذكره لمزاج القلب.

ووجب أيضا تقديمه على كتاب جالينوس إلى أغلوقن، لأنه تكلم فى هذا الكتاب فى الحميات والنبض وهو أول شئ يعرف منه أمر الحميات.

على أن الترتيب الذى ذكره الأستاذ أبو الخير أن جالينوس أشار إليه، هو لعمرى الترتيب الصناعى، وذلك أنه يجب على كل ذى صناعة أن يتدرج فى تعليمها من الأظهر إلى الأخفى، ومن الأخير إلى المبدأ والتشريح هو علم البدن وأعضائه، وهذه هو أول ما يظهر لنا من الإنسان، وأن آخر ما تفعله الطبيعة.

فإن الطبيعة تأخذ أولا الاسقطسات، ثم تمزجها فيحصل منها الاخلاط، ثم تفعل القوى والأعضاء. فيجب أن يكون طريقنا فى التعليم بالعكس من طريق الطبيعة فى التكوين، ولكنا ندع هذا الاضطرار، ونرضى ترتيب الإسكندرانيين، لأن العلم حاصل على كل حال وخرق اجماع الحكماء معدود من الخرق[1].

أى أن ابن أبى أصيبعة يؤيد التقسيم السكندرى لمراحل الدراسة. ويستنتج من كلامه الآتى:

---

(١) الخَرَق (بفتح الخاء والراء): الحمق.

أنه يرى أن على الطالب أن يبذل جهدا فيما لا يحتاج إلى معلم وهو ما نسميه فى عصرنا بـ «التعليم الذاتى» كما وضح من رده على أبى الخير بن الخمار.

- أن التهيئة النفسية «التشويق» مسألة ضرورية فى ابتداء التعليم.
- إن ابن أبى أصيبعة انتبه إلى مبدأ هام من مبادئ التعليم وهو الانتقال من البسيط إلى المعقد.

المناهج والمقررات الدراسية: (*)

كان الطب يدرس فى مصادر يونانية وعربية، أما المصادر اليونانية فكتب بقراط، وكل منها: كتاب الأجنة، وهو ثلاث مقالات: الأولى فى تكون المنى، والثانية فى تكوين الجنين، والثالثة فى تكون الأعضاء، وكتاب الأخلاط، وكتاب الأمراض الحادة، وهو فى ثلاث مقالات أيضا: الأولى فى تدبير الغذاء، والثانية فى المداواة بالتكميد والقصد والمسهل، والثالثة فى التدبير بالخمر، وماء العسل والاستحمام. وكتاب الأمراض الوافدة وتدبيرها، وكتاب الأهوية والمياه والبلدان، وهو فى ثلاث مقالات كذلك: الأولى فى تعرف أمزجة البلدان، وما يتولد من الأمراض البلدية،

(*) انظر فى ذلك:

- أحمد أحمد بدوى، الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية، مرجع سابق.
- ابن أبى أصيبعة ، مرجع سابق.
- شوقى ضيف، مرجع سابق.

والثانية فى تعرف أمزجة المياه، وفصول السنة، وما يتولد منها من الأمراض، والثالثة فى كيفية الحذر مما يولد الأمراض البلدية، وكتاب البثور وفيه خمس وعشرون قضية، وكتاب البول، وكتاب الفصول، الذى ظفر بعدة شروح فيما بعد حيث: شرحه أبو الفرج بن يعقوب الشامى، وأبو الحجاج يوسف الإسرائيلى، وعمر بن على بن البدوخ الدمشقى، وصدقة السامرى، ولم يتمه، وهذب رضى الدين الرحبى شرح ابن الطبيب لكتاب الفصول، وسار على نهج هذه الفصول موسى بن ميمون، فألف فصول موسى، نقل فيها عن الرازى وابن سينا وابن وافد، وابن زهر، وتبحث فى البواسير والرسو وغيرهما، وشرح موسى أيضا فصول بقراط، ولبقراط أيضا كتاب سيلان الدم، وكتاب- الكسر والجبر، وهو ثلاث مقالات يتضمن كل ما يحتاج إليه الطبيب من هذا الفن، وكتاب اللحوم، وكتاب تقدمه المعرفة، الذى شرحه عمر بن على بن البدوخ الدمشقى.

وكان لجالينوس ستة عشر كتابا، تدرس فى ذلك العصر، منها كتاب العلل والأعراض الذى علق عليه السديد بن أبى البيان، وشرح بعضه المظفر بن على القرشى المتوفى بدمشق سنة ٦١٢هـ، ومنها كتاب منافع الأعضاء، وكتاب الصناعة الصغيرة، الذى شرحه عدنان بن نصر، وكتاب النبض، وكتاب فى التأنى لشفاء الأمراض، وكتاب المزاج.

وقد اختصر الستة عشر كتابا موسى بن ميمون. وكان لديسقوريدس كتاب يدعى الأدوية، شرحه ابن البيطار.

أما الكتب العربية التى كانت تدرس فى الطب يومئذ، فكتاب المسائل لحنين ابن إسحق. وقد اختصره حينا، وشرحه حينا، وعلق عليه حينا آخر، كثير من أطباء ذلك العصر. ومن أهم ما عنى به يومئذ ما لم ينله كتاب سواء، فاختصر، وشرح ووضعت عليه الحواشى الكثيرة والتعاليق العدة.

كذلك حظى كتاب الحاوى للرازى المتوفى سنة ٣٢١هـ- بكثير من العناية: فاختصر حينا، وعلق عليه حنيا آخر.

وكان الراغب فى دراسة الطب، يحفظ أولا بعض كتبه، مثل «مسائل حنين»، و «والفصول لبقراط» ، و «وتقدمة المعرفة» له، ويعرف معناها، ويدرس شروحها، ثم يقرأ كتب العلاج: كبعض كتب الرازى، وبالغ شمس الدين الكلى محمد بن إبراهيم، فحفظ الكتاب الأول من «القانون»، ولعل هذه الصلة التى تربط الطب بكتب اليونان (وكان الطب معدودا من علوم الحكمة، ودرس كثير من الأطباء علوم الحكمة على اختلاف ألوانها) هى التى جعلت هذه الطائفة تسمى بالحكماء. ولا تزال هذه التسمية باقية إلى اليوم (*).

على أن كثيرا جدا من الأطباء لم يقف عند حد هذه الثقافة الطبية، بل درس غيرها من الثقافات فرأينا من بين الأطباء الفقيه، والأديب، والنحوى والشاعر، والمتكلم، والأصولى، والمحدث، والمؤرخ، واللغوى، والعالم بالخلاف، والفلكى، والمسفر، والمقرئ، والمتكلم، والمهندس، والرياضى.

(*) ما يزال المصريون- فى الريف خاصة- يطلقون لفظ الحكيم على الطبيب.

ويطول بى الحديث إذا أنا ضربت أمثلة لذلك، وربما كـان فـيمن سنترجم لهم نماذج لبعض هذه الألوان.

كان طالب الطب يدرس مادته نظريا وعمليا، يدرس الكتب علـى أساتذته، ويلازم مشاهدة المرضى فى البيمارستان، ويعرف أمراضهم، وما يصف الأطباء لهم، وما يكتبونه للمرضى فى تذكرتهم، التى كانـت تسمى يومئذ: دستورا.

المبحث الخامس
طرق تدريس الطب

طرق تدريس الطب

أورد ابن أبى أصيبعة فى مواضع متفرقة من كتابة طريقتين من طرق تعليم الطب **هما**:

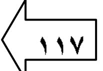
- طريقة التلقين، أو التدريس النظرى وكانت الدروس النظرية التى تدرس بهذه الطريقة تشمل التشريح والكيمياء والفسيولوجيا (وظائف الأعضاء) والباثولوجيا (علم الأمراض) والعقاقير والأدوية.
- التدريب العملى، أو الدروس العملية، وكانت تتم فى صورة حلقات من المتعلمين تقف حول المريض ويشرح لهم الأستاذ الحالات الصعبة أو النادرة.

إلا أن ابن أبى أصيبعة تعرض لمسألة «التعليم الذاتى» أو التعليم الفردى كما أشرنا فى السطور السابقة فى تعليقة على مراحل تعليم الطب.

ولذا يحسن أن نبسط رأيه هنا قبل الخوض فى تفصيل طريقتى التدريس اللتين تعرض لهما تأسيسا على أن التعلم من حيث الشكل- ذاتيا أو اعتمادا على معلم- أولى بالتناول قبل تفصيل القول فى طريقة التدريس.

وقد تعرض ابن أبى أصيبعة لهذه المسألة بالتفصيل فى ترجمته لابى الحسن على بن رضوان[1]. فقال:

(١) طبيب مصرى ولد بالجيزة من أسرة فقيرة واعتمد على نفسه- كما قال عن نفسه من سن الرابعة عشرة حتى الثانية والثلاثين وأتقن الطب حتى صار طبيبا مشهورا وله عشرات المؤلفات وقد أصيب بلوثة عقلية فى آخر حياته بسبب أنه كان قد تبنى يتيمه خلال أزمة غلاء طاحنة أرهقت مصر سنة ٤٤٥هـ وكانت الشيخوخة قد طحنته فهربت اليتيمة بعد أن سرقت منه ثروة كان يدخرها لشيخوخته مقدارها عشرون ألف دينار من الذهب. ثم توفى رحمة الله سنة ٤٥٣هـ (عيون الأنباء ص ص ٥٦١- ٥٦٧).



"أقول: وكان ابن رضوان كثير الرد على من كان يعاصره من الأطباء وغيرهم، وكذلك على كثير ممن تقدمه. وكانت عنده سفاهة فى بحثه، وتشنيع على ما يريد مناقشته.

وأكثر ذلك يوجد عندما كان يرد على حنين بن اسحق، وعلى أبى الفرج ابن الطيب، وكذلك أيضا على أبى بكر محمد بن زكريا الرازى.

ولم يكن لابن رضوان فى صناعة الطب معلم ينسب إليه، وله كتاب فى ذلك يتضمن أن تحصيل الصناعة من الكتب أوفق من المعلمين.

وقد رد عليه ابن بطلان هذا الرأى وغيره فى كتاب مفرد، وذكر فصلا فى العلل التى لأجلها صار المتعلم من أفواه الرجال أفضل من المتعلم من الصحف إذا كان القول واحدا. وأورد عدة علل:

الأولى منها تجرى هكذا: وصول المعانى من النسيب إلى النسيب، خلاف وصولها من غير النسيب إلى النسيب. والنسيب الناطق أفهم للتعليم بالنطق وهو المعلم، وغير النسيب له جماد وهو الكتاب، ويعد الجماد من الناطق مطيل لطريق الفهم، وقرب الناطق من الناطق مقرب للفهم، فالفهم من النسيب، وهو المعلم أقرب وأسهل من غير النسيب، وهو الكتاب.

الثانية، هكذا: النفس العلامة علامة بالفعل، وصورة الفعل عنها يقال له تعليم، والتعليم والتعلم من المضاف. وكلما هو للشيء بالطبع أخص به مما ليس له بالطبع. والنفس المتعلمة علامة بالقوة، وقبول العلم فيها يقال له تعلم، والمضافان معا بالطبع. فالتعليم من المعلم أخص بالمتعلم من الكتب.

الثالثة: على هذه الصورة: المتعلم إذا استعجم عليه ما يفهمه المعلم من لفظ نقله إلى لفظ آخر والكتاب لا ينقل من لفظ إلى لفظ. فالفهم من المعلم أصلح للمتعلم من الكتاب، وكل ما هو بهذه الصفة فهو في إيصال العلم أصلح للمتعلم.

الرابعة: العلم موضوعه اللفظ، واللفظ على ثلاثة أضرب: قريب من العقل، وهو الذى صاغه العقل مثالا لما عده من المعانى، ومتوسط، وهو المتلفظ به الصوت، وهو مثال لما صاغه العقل، وبعيد، وهو المثبت فى الكتب، وهو مثال ما خرج باللفظ. فالكتاب مثال مثال مثال المعانى التى فى العقل، والمثال الأول لا يقوم مقام المثل لعوز المثل، فما ظنك بمثال مثال مثال المثل. فالمثال الأول لما عند العقل أقرب في الفهم من مثال المثال، والمثال الأول هو الفظ، والثانى هو الكتاب. وإذا كان الأمر على هذا فالفهم من لفظ المعلم أسهل وأقرب من لفظ الكتاب.

الخامسة: وصول اللفظ الدال على المعنى إلى العقل يكون من جهة حاسة غريبة من اللفظ، وهو البصر، لأن الحاسة النسبية للفظ هو السمع لأنه تصويت والشئ الواصل من النسيب، وهو اللفظ، أقرب من وصوله لمن الغريب، وهو الكتابة فالفهم من المعلم باللفظ أسهل من الكتاب بالخط.

السادسة هكذا: يوجد فى الكتاب أشياء تصدر عن العلم قد عدمت فى تعليم المعلم، وهو التصحيف العارض من اشتباه الحروف مع عدم اللفظ، والغلظ بزوغان البصر وقلة الخبرة بالإعراب، أو عدم وجوده مع الخبرة به، أو فساد الموجود منه، واصطلاح الكتاب ما لا يقرأ وقراءة ما لا يكتب، ونحو التعليم ونمط الكلام ومذهب صاحب الكتاب، وسقم النسخ ورداءة النقل، وإدماج القارئ مواضع المقاطع، وخلط مبادئ التعليم، وذكر ألفاظ مصطلح عليها فى تلك الصناعة، وألفاظ يونانية لم يخرجها الناقل من اللغة كالثوروس وهذه كلها معوقة عن العلم. وقد استراح المتعلم عن تكلفها عند قراءته على المعلم. وإذا كان الأمر على هذا فالقراءة على العلماء أفضل وأجدى من قراءة الإنسان لنفسه. وهو ما أردنا بيانه.

قال: وأن آتيك ببيان سابع أظنه مصدقا عندك، وهو ما قاله المفسرون فى الاعتياض عن السالبة البسيطة الموجبة المعدولة، فإنهم

مجمعون على هذا الفصل لو لم يسمعه من أرسطوطاليس تليمذه: تاؤفرسطس وأوذيموس، فما فهم قط من كتاب. وإذا كان الأمر على هذا فالفهم من المعلم أفضل من الفهم من الكتاب. ويحسب هذا يجب على كل محب للعلم أن لا يقطع بظن فربما خفى الصواب، وإذا خفى الصواب علم الأشياء علما رديا، فثار عليه بحسب اعتقاده فى الحق أنه محال شكوك يعسر حلتها.

وواضح مما سبق أن ابن أبى أصيبعة يتبنى ما يمكن أن نطلق عليه: «المبادئ العامة للتدريس» وهى تقترب فى معطياتها العامة– من بعض مفاهيم علم النفس التعليمى المعاصر.

ويمكن تلخيصها فيما يلى:

- أن المعلم ركن أساسى فى عملية التعليم للأسباب التالية:
- أنه قد يشرح اللفظ الغامض أو الفكرة الغامضة إذا وردت فى الكتاب.
- أن المعلم يعالج ما قد يكون فى الكتاب من أخطاء علمية أو طباعية.
- أن التفاعل الإنسانى بين المعلم والمتعلم يسهل عملية التعليم.

- **أن الإدراك فى حالة التعليم من الكتاب إدراك بصرى فقط. أما فى حالة التعلم من المعلم فإن أكثر من حاسة تشترك فى عملية التعلم مما يجعل الإدراك أسهل وأشمل.**
- **أن لكل علم أسراره ومصطلحاته الفنية الدقيقة، وهذا يجعل الاعتماد على المعلم ضروريا لضمان التحصيل السليم.**

التدريس النظرى:

أن طريقة التدريس النظرى كانت تتم فى خطوات تختلف من أستاذ إلى آخر ولكن النظام العام للطريقة الذى يمكن استنتاجه من مجموع ما ذكره ابن أبى أصيبعة فى تراجمة لمشاهير الأطباء الكبار مثل الرازى(١)، ومهذب الدين بن على (٢). يمكن أن نتصوره على النحو التالى:

- **يجلس الطلاب حول الأستاذ فى ثلاثة صفوف دائرية الشكل تمثل ثلاثة مستويات تعليمية آخرها فى الخلف المستجدون فى التعليم،**

---

(١) الرازى هو أبو بكر محمد بن زكريا بن يحيى ولد بمدينة الرى ثم انتقل إلى بغداد وهو فى نحو الثلاثين عمره، وقد تعمق فى دراسة الفلسفة والكيمياء والطب وعرف عنه حبه للفقراء وسعية لنشر الثقافة الصحية بين العامة وعندما طارت شهرته عينة الخليفة المعتضد بالله كبيرا لأطباء مدينة بغداد، فظل فى هذه الوظيفة نحو أربع سنوات ثم عاد إلى الرى وقد ترك تراثا علميا هائلا أهمه كتابه (الحادى) الذى جمع فيه كل ما كان قرأه من علوم السابقين فى الطب. ويبدو من حديث ابن أبى أصيبعة عنه أنه كان يعرف السريانية واليونانية. وقد توفى عام ٣٢٠هـ(ص ص ٤١٤- ٤٢٧).

(٢) مهذب الدين عبد الرحيم بن على هو أستاذ ابن أبى أصيبعة أو أحد اساتذته الذين سجل إعجابه بهم. ولد بدمشق واشتهر بها وكان من كبار الأساتذة فى بيمارستان فى دمشق وله صلات طيبة بالملوك المتعاقبين. وله عدة مؤلفات ذكرها ابن أبى أصيبعة. توفى سنة ٦٢٨هـ. (ص ص ٧٢٨- ٧٣٦).

وأوسطهم أولئك الذين قضوا مدة فى التعلم فى الصفوف الخلفية. وفى المقدمة يجاور الأستاذ أنضج المتعلمين وأكثرهم خبرة وأقدمهم جلوسا فى الحلقة أو نستطيع القول بأنهم الذين أوشكوا على التخرج وترك هذه الحلقة والانتقال إلى التدريب العملى.

- وليس من السهل استنتاج قدر الوقت الذى كان يقضيه الطالب فى هذه المرحلة الدراسية فابن أبى اصيبعة لم يشر إلى ذلك. ولكن الواضح من أحاديثه فى مواضع شتى أن الانتقال من صف إلى صف- داخل الحلقة- لم يكن يتم بإرادة الطلاب وإنما كان يتم بناء على رأى الأستاذ بعد أن يستوثق من جدارة الطالب وقدرته.
- وكان الطلاب يقرأون فى هذه الحلقة الكتب التى يختارها الأستاذ لهم سواء أكانت من مؤلفاته أم من مؤلفات غيره.
- وقد يترك الأستاذ طلاب الصف الأدنى إليه (المتميزين والأكثر نضجا) يعتمدون على أنفسهم فى القراءة وينشغل بالشرح لطلاب الصفين التاليين فى الوقت نفسه.
- وتكون مهمة الأستاذ فى جميع الأحوال مهمة إرشادية بالدرجة الأولى فهو لا يقرأ كتابا واحد ويشرحه للجميع كما كان عليه الحال فى تدريس الفقه والنحو والأدب. بل إن مهمة الأستاذ هنا كانت مجرد الشرح أو التوضيح عندما يطلب منه الطلاب ذلك.

- وهناك صورة أخرى لمجلس التعليم النظرى كانت تتم غالبا من خلال التعليم الفردى فيقوم الأستاذ بتعليم كل طالب على حده مـن كتـاب معين أو كما يقول ابن أبى أصيبعة.

«وكان الشيخ مهذب الدين رحمه الله إذا تفرغ من البيمارستان، وافتقد المرضى من أعيان الدولة وأكابرها وغيرهم، يأتى إلى داره ثـم يشرع فى القراءة والدرس والمطالعة.

ولابد له من ذلك من نسخ. فإذا فرغ منه أذن للجماعة فيدخلون إليه ويأتى قوم بعد قوم من الأطباء والمشتغلين.

وكان يقرأ كل واحد منهم درسه، ويبحث معه فيه، ويفهمه إيـاه بقدر طاقته ويبحث فى ذلك مع المتميزين منهم إن كان الموضع يحتاج إلى فضل بحث، أو فيه أشكال يحتاج إلى تحرير.

وكان لا يقرئ أحدا إلا وبيده نسخة من ذلك الكتاب يقـرأه ذلـك التلميذ، وينظر فيه ويقابل به، فإن كان فى نسخة الذى يقرأ غلط أمره بإصلاحه.

وكان نسخ الشيخ مهذب الدين التى تقرأ عليه فى غاية الصحة، وكان أكثرها بخطه، وكان أبداً لا يفارقه إلى جانبه مع ما يحتاج إليه من الكتب الطبية ومن كتب اللغة كتاب الصحاح للجوهرى، والمجمل لابن فارس[١].

وكتاب النبات لأبى حنيفة الدينورى. فكان إذا فرغت الجماعة من القراءة يعود هو إلى نفسه فيأكل شيئا ثم يشرع بقية نهاره فى الحفظ والدرس"

ومن روايات ابن أبى أصيبعة يتضح أن طريقة التدريس النظرى الدائرية التى أشرنا عليها كانت هى السائدة فى مجلس تعليم الطب بصفة عامة بالشكل الذى أشرنا إليه. ففى ترجمته للطبيب العالم ابن خطيب الرى[٢]. يقول:

"وكان إذا جلس للتدريس يكون قريبا منه جماعة من تلاميذه الكبار، ثم زين الدين الكشى والقطب المصرى وشهاب الدين النيسابورى، ثم يليهم بقية التلاميذ وسائر الخلق على قدر مراتبهم

---

(١) أحمد بن فارس لغوى ونحوى على طريقة الكوفيين ولد فى جهة كبرسف وجياناباان وهما قريتان من رستاق الزهراء وتوفى فى الرى (١٠٠٤) أشهر كتبه "المجمل فى اللغة".

(٢) هو فخر الدين أبو عبد الله محمد بن العمر بن الحسين الرازى المعروف بابن خطيب الرى نبغ فى علوم كثيرة منها التفسير وتفسيره الشهير "مفاتيح الغيب" من التفاسير المتميزة، كذلك نبغ فى علوم الكلام والفقه والفلسفة واشتهر بقوة حجته وردوده المفحمة على المعتزلة وغيرهم. وتوفى عام ٦٠٦ هـ. وقد يشار إليه أحيانا بلقب: الفخر الرازى فقط.
(راجع: ابن أبى أصيبعة ص ص ٤٦٢- ٤٧٠).

فكان من يتكلم فى شئ من العلم يباحثونه أولئك التلاميذ الكبار، فإن جرى بحث مشكل أو معنى غريب شاركهم الشيخ فيما هم فيه، وتكلم فى ذلك المعنى بما يفوق الوصف".

فنيات التدريس النظرى:

إن الأساليب الفنية للتلقين أو التدريس النظرى التى يمكن استنتاجها من خلال الترجمات المختلفة فى الكتاب تنحصر فى الأنماط التالية:

أ. القراءة على الأستاذ:

حيث يختار الأستاذ للطلبة كتابا معينا من المراجع الطبية التى يراها ملائمة لمستواهم أو لمستوى كل منهم.

ويأخذ الطالب فى القراءة من هذا الكتاب على أستاذه فلا يتوقف إلا عندما يغمض عليه المعنى، أو يتدخل الأستاذ بالشرح عندما يرى ضرورة لذلك.

ويستمر الوضع على هذه الوتيرة حتى ينتهى الكتاب فينتقل الطالب - أو مجموعة الطلبة- إلى كتاب جديد يمثل مستوى أرقى من السابق.

الإملاء:

وهذه الطريقة كانت أكثر شيوعا فى دروس المحــدثين -بتشــديد الدال وكسرها- أى أساتذة علم الحديث النبوى.

ولكنها شاعت فى تدريس معظم العلوم العربية. وقد اســتخدمها بعض الأطباء الكبار كالرازى وغيره فــى تزويــد طلابهــم بخبــراتهم الشخصية وملاحظاتهم على المؤلفات التى يدرسونها.

ب. العرض:

ومعناه أن يعيد الطالب قراءة ما أملاه عليه أستاذه بصوت مرتفع على أستاذة للتأكيد من أنه لم يكتب شيئا خطأ أو للتأكد من أنه يفهم ما كتبه سماعا. وهذا النمط من أنماط التفاعل اللفظى بين الأستاذ والتلميذ يدل دلالة واضحة على عناية العلماء العرب بمسألة التعلم الفردى.

ت. الشرح:

وهذا النمط هو أكثر فنيات التدريس النظــرى شــيوعا. ويقــوم الأستاذ فيه بالدور الأكبر من خــلال تفســير النصــوص والعبــارات والمعانى الغامضة.

أو ضرب الأمثلة على الحالات التى تحتاج إلى توضيح. ويبدو أن الكتب التى كانت تدرس لطلاب الطب باللغات السريانية والإغريقية كانت وراء غلبة هذا النمط على غيره من الأنماط لحاجة الطلاب المتجددة إلى إتقان اللغات الأجنبية وأسرارها التعبيرية.

المقررات التى كانت تدرس نظريا:

كانت الدروس النظرية تشمل:

١. الكيمياء والعقاقير:

يقول الرازى (من لم يكن له المام واسع بالكيمياء لا يستطيع أن يكونوا فيلسوفا)، ولا يستغرب هنا استعمال كلمة الفيلسوف لأن العرب كانوا يرون الطب والفلسفة علوما تنبغ من معين واحد ويسمونها علوم الحكمة. ومن هنا فقد شاع فى التراث استخدام كلمة «الحكيم» للدلالة على الفيلسوف أو على الطبيب.

"وقد يراد بالحكيم الناظر فى العيون «طبيب العيون خاصة» لا فى الأبدان لأن هذا- أى الناظر فى الأبدان- هو الطبيب"[١].

---

(١) محمود الطناحى، الموجز فى مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم (القاهرة: مكتبة الخانجى، ١٩٨٥)، ص ٦٤.

ويبدو أن الرازى كان على علم بما تسببه العقاقير من مضاعفات أو آثار جانبية فهو يقول "إن قدرت أن تعالج بالأغذية فلا تعالج بالأدوية" وفى كتاب ابن أبى أصيبعة تتناثر نماذج كثيرة لأسماء النباتات التى كان الأطباء يعتمدون عليها فى صناعة الأدوية أو فى العلاج بها مباشرة.

٢. التشريح:

وعلى الرغم من أن الفكر الدينى لم يكن أباح تشريح جسم الإنسان فإن علم التشريح كان أحد العلوم الأساسية الممهدة لدراسة الطب. وكان يدرس نظريا من كتاب جالينوس. بالإضافة إلى تجارب العرب فى تشريح عربى.

٣. علم وظائف الأعضاء (الفسيولوجيا):

يتضح من استعراض الكتاب أن هذا العلم كان أحد العلوم الضرورية التى تدرس فقد تكلم كثير من الأطباء عن العصاب وعن عصب الحس وعصب الحركة خاصة، وعن الجلد، كما تناولوا دراسة الحواس، وتحدثوا عن طبقات الأذن، الكبد، القلب، الخصية، العين، ... الخ.

وكانوا يصفونها (بالخيالية، وقد درسـوها مـن خـلال كتـاب جالينوس فكانوا يحرصون على تعريف كل مرض ووصـف أعراضـه وصفا دقيقا بل الشروع فى وصف العلاج. فقد تحـدث الـرازى عـن أعراض بعض أمراض الكبد والكلى والحصبة والجدرى بل إنه تجـاوز ذلك إلى ما يعرف اليوم باسم (أمراض المجتمع) أو البيئة حين تحـدث عن (صحة المسافر) وكيفية تفادية للأوبئة والأمراض المعدية.

وربما أصبح التدقيق فى معرفة الأمراض مزية يتميز بها الطبيب عن غيره، وتدل على حنكته. فحين ترجم ابن أبى أصيبعة لموفق الدين يعقوب بن اسقلاب (طبيب نطرانى كان مقربا من الملك المعظم عيسـى بن أبى بكر بن أيوب توفى عام ٦٢٥هـ) قال عنه:

"وكان شديد البحث واستقراء الأعراض بحيث إنه كان إذا افتقـد مريضا لا يزال يستقصى منه عرضا عرضا، وما يشكو منه وما يجـده من مرضه حالا حالا إلى أن لا يترك عرضا يستدل به علـى تحقيـق المرض إلا ويعتبره فكانت أبدا معالجاته لا مزيد عليها فـى الجـودة. وكان الملك المعظم يشكر منه هذه الحالة.

علم النبات:

إذا كانت دراسة علوم الحيوان هى أساس دراسة التشريح، فــإن دراسة علوم النبات كانت هى أساس علوم الأدويـــة وكـــان الأطبـــاء العرب- كما يبدو من كلام ابن أبى أصيبعة- يعطــون أهميـــة للنبـــات فيدرسونه من حيث آثاره العلاجية وبذلك عرفوا ما ســموه بالأدويـــة المفردة وهم يقصدون بها ما كان يعالج به من النبـــات مباشـــرة دون إضافته إلى غيره. والأدوية المركبة ويقصدون بهـــا تلـــك التـــى يـــتم استخلاصها من خلط عدة عناصر نباتية أو غير نباتية.

وفى ترجمته لابن البيطار (ت ٦٤٦هـ) الذى يصفه بأنه "أوحـــد عصره وعلاقة وقته فى معرفة النبات" يذكر ابن أبى أصيبعة أنه خرج معه خارج دمشق لمشاهدة أنواع من النباتات على الطبيعة.

وفى ترجمته لرشيد الدين الصورى (ت٦٣٩هـ) يذكر أنه كـــان يخرج إلى جبل لبنان ويأخذ معه مصورا ليصور لـــه النباتـــات التـــى يدرسها فى مراحل مختلفة من نموها وحين وضع كتاباً فـــى الأدويـــة زوده بهذه الصور التى يستدل بها على ما يتوصل إليه من نتائج.

وأهمها الفقه والنحو ولم يكن كل الأساتذة ملتزمين بتدريسها فى مجالس تعليم الطب ولكن ابن أبى أصيبعة أشار إليها فى تراجم عـــدد قليل منهم ويبدو أنها كانت مرتبطة باهتمامـــات الأســـتاذ الدينيـــة أو اللغوية ولم تكن مقررا أساسيا من متطلبات المهنة.

التدريس العملى:

الواضح من بين ثنايا التراجم المختلفة فى الكتـــاب أن الـــدروس العملية كانت تتم ميدانيا حول سرر المرضى فى المستشـــفيات حيـــث يشرح الأستاذ الحالات التى يقرر تدريسها حالة بعـــد أخـــرى متـــنقلا بتلاميذه من سرير إلى سرير أو يكلف أحد الطلاب بتشخيص حالة من الحالات ويطلب منه وصف العلاج المناسب للحالة.

ففى ترجمته لأستاذه مهذب الدين بن على يقول:

"ولما أقام الشيخ مهذب الدين بدمشق شرع فى تدريس صـــناعة الطب، واجتمع إليه خلق كثير من أعيان الأطباء وغيرهم يقرأون عليه، وأقمت أنا بدمشق لأجل القراءة عليه.

وأما أولا فكنت أشتغل عليه فى المعسكر لما كان أبـــى والحكـــيم مهذب الدين فى خدمة السلطان الكبير فبقيت أتردد إليه مع الجماعة

وشرعت فى قراءة كتب جالينوس، وكان خبيرا بكل ما يقرأ عليه من كتب جالينوس وغيره. وكانت كتب جالينوس تعجبه جدا.

وإذا سمع شيئا من كلام جالينوس فى ذكر الأمراض ومـــداولتها والأصول الطبية يقول هذا هو الطب. وكان طلق اللسان حسن التأديـــة للمعانى جيد البحث لازمتـــه أيضـــا فـــى وقـــت معالجتـــه للمرضـــى بالبيمارستان فتدربت معه فى ذلك وباشرت أعمال صناعة الطب.

وكان فى ذلك الوقت أيضاً معه فى البيمارستان لمعالجة المرضى الحكيم عمران وهو من أعيان الأطباء وأكابرهم فى المداواة والتصرف فى أنواع العلاج فتضاعفت الفوائد المقتبسة من اجتماعاتهمـــا، وممـــا كان يجرى بينهما من الكلام فى الأمراض ومداولتها ومما كانا يصـــفاه للمرضى.

وكان الحكيم مهذب الدين يظهر من ملح صـــناعة الطـــب ومـــن غرائب المداواة والتقصى فى المعالجة والإقدام بصفات الأدويـــة التـــى تبرئ فى أسرع وقت ما يفوق به أهل زمانه، ويحصل من تأثيرهم شئ كأنه سحر .

ومن ذلك أننى رأيته يوما وقـــد أتـــى محمـــوم بحمـــى محرقـــة وقواريره فى غاية الحدة فاعتبر قوته، ثم أمر بأن يترك له فى قدح

بزور من الكافور مقداراً صالحا عينه لهم فى الدستور، وأن يشربه ولا يتناول شيئا غيره، فلما أتينا من الغد وجدنا ذلك المريض والحمى قد انحطت عنه، وقارورته ليس فيها شئ من الحدة.

ومثل هذا أيضا أنه وصف فى قاعة الممرورين لمن به المرض المسمى مانيا، وهو الجنون السبعى، أن يضاف إلى ماء الشعير فى وقت إسقائه إياه مقدار متوفر من الأفيون، فصلح ذلك الرجل وزال ما به من تلك الحال.

ورأيته يوما فى قاعة المحمومين وقد وقفنا عند مريض، وجست الأطباء نبضه فقالوا عنده ضعف ليعطى مرقة الفروق للتقوية فنظر إليه، وقال: أن كلامه ونظر عينية يقتضى الضعف. ثم جس نبض يده اليمنى وجس الأخرى وقال: جسوا نبض يده اليسرى. فوجدناه قويا.

فقال: انظروا نبض يده اليمنى وكيف هو من قريب كوعه قد انفرق العرق الضارب شعبتين، فواحدة بقيت التى تجس والأخرى طلعت فى أعلى الزند وامتدت إلى ناحية الاصابع. فوجدناه حقا.

ثم قال: إن من الناس، وهو نادر، من يكون النبض فيه هكذا، ويشتبه على كثير من الأطباء ويعتقدون أن النبض ضعيف، وإنما يكون جسم لتلك الشعبة التى هى نصف العرق فيعتقدون أن النبض ضعيف.

وكان فى ذلك الوقت أيضا فى البيمارستان الشيخ رضى الدين الرحبى، وهو من أكبر الأطباء سنا وأعظمهم قدرا وأشهرهم ذكرا، فكان يجلس على دكه ويكتب لمن يأتى إلى البيمارستان، ويتوصف منه للمرضى أوراقا يعتمدون عليها ويأخذون بها من البيمارستان الأشربة والأدوية التى يصفها.

فكنت بعد ما يفرغ الحكيم مهذب الدين والحكيم عمران من معالجة المرضى المقيمين بالبيمارستان، وأنا معهم، أجلس مع الشيخ رضى الدين الرحبى فأعاين كيفية استدلاله على الأمراض، وجملة ما يصفه للمرضى وما يكتب لهم، وأبحث معه فى كثير من الأمراض ومداواتها.

ولم يجتمع فى البيمارستان منذ بنى وإلى ما بعده من الزمان من مشايخ الأطباء كما اجتمع فيه فى ذلك الوقت من هؤلاء المشايخ الثلاثة وبقوا كذلك مدة".

ويذكر ابن أبى أصيبعة أن أستاذة مهذب الدين بن على عندما تقدمت به السن لم يتوقف عن تدريس الطب فيقول:

ووصل إلى دمشق إلى ملكها الأشرف فى سنة ست وعشرين وستمائة وهو معه فولاه رياسة الطب.

وبقى كذلك مديدة، وجعل له مجلسا لتدريس صناعة الطب ثم زاد به ثقل لسانه حتى بقى إذا حاول الكلام لا يفهم ذلك منه إلا بعسر.

وكانت الجماعة تبحث قدامه فإذا استعصى معنى يجيب عنه بأيسر لفظ يدل على كثير من المعنى.

وفى أوقات يعسر عليه الكلام فيكتبه فى لوح وتنظره الجماعة. ثم اجتهد فى مداواة نفسه، واستفرغ بدنه بعدة أدوية مسهلة، وكان يتناول كثيرا من الأدوية والمعاجين الحارة ويغتذى بمثلها فعرضت له حمى وتزايدت به حتى ضعفت قوته وتوالت عليه أمراض كثيرة.

مراحل التدريس العملى للطب:

أ.مرحلة الكشف المبدئى:

يقدم لنا ابن أبى أصيبعة صورة لما كان يحدث فى بداية التدريس الميدانى حيث يقف الأستاذ أمام سرير المريض وحوله طلابه ثم تتبع الإجراءات التالية:

- سؤال المريض عن اسمه وعمره وبلده.
- سؤاله عن الآلام التى يشعر بها وتاريخ شعوره بها.
- سؤاله عن الأغراض التى صاحبت الشعور بالآلم مسلسلة.

• سؤاله عن أفراد عائلته وعما إذا كان أحد منهم قد شعر بالآلام نفسها فى أى وقت من الأوقات.

بهذه الخطوات الأربع يكون الطلاب قد كونوا فكرة عن تاريخ الحالة وأثر الوراثة إن كان لها صلة بالمريض. ويقول الرازى عن هذه المرحلة:

"ينبغى للطبيب ألا يدع مسألة المريض عن كل ما يمكن أن تتولد عنه علته من داخل ومن خارج. ثم يقضى بالأقوى"[1].

ب. مرحلة الفحص:

بعد ذلك يقوم الأستاذ بتوجيه طلابه إلى فحص المريض بعد أن يتداول معهم فى المعلومات التى حصلوا عليها من المريض عبر الخطوات السابقة.

وتنقسم مرحلة الفحص عادة إلى مستويين:

الأول: فحص عام شامل: يقول عنها الرازي:

"ابدأ بدراسة حالات المريض وتأثير المرض عليه، وهل يستطيع السير منفردا أم مستندا وعلى أية جهة يستند. ووضع يديه أثناء السير، وهل هما على أعلى البطن أم أسفلها أم على الرأس أم على

(١) ابن أبى أصيبعة،ص ٤٢١.

الصدر وتكلم معه لمعرفة هل هو مالك لقواه العقلية أم فى حالة خمول وهل حالته تنذر بالخطر أم لا. بمجرد القاء نظرة عامة على المريض ويقول الطبيب على بن رضوان عن هذه المرحلة: [١]

"تعرف العيوب هو أن تنظر إلى هيئة الأعضاء والسحنة والمزاج وملمس البشرة، وتتفقد أفعال الأعضاء الباطنة والظاهرة، مثل أن تنادى به من بعيد فتعتبر بذلك حال سمعه، وأن تعتبر بصره بنظر الأشياء البعيدة القريبة، ولسان بجودة الكلام، وقوته بشيل الثقل والمسك والضبط والمشى وإنحاء ذلك، مثل أن تنظر مشيه مقبلا ومدبرا، ويؤمر بالاستلقاء على ظهره ممدود اليدين قد نصب رجليه وصفهما، وتعتبر بذلك حال أحشائه، وتتعرف حال مزاج قلبه بالنبض وبالاخلاق، ومزاج كبده بالبول وحال الاخلاط، وتعتبر عقله بأن يسأل عن أشياء، وفهمه وطاعته بأن يؤمن بأشياء، وأخلاقه إلى ما تميل بأن تعتبر كل واحد منها بما يحركه أو يسكنه.

وعلى هذا المثال أجر الحال فى تفقد كل واحد من الأعضاء والأخلاق. أما فيما يمكن ظهوره للحمى فلا تقنع فيه حتى تشاهده بالحس، وأما فيما يتعرف بالاستدلال فأستدل عليه بالعلامات الخاصة.

---

(١) المرجع نفسه، ص ٥٦٥.

وأما فيما يتعرف بالمسألة فابحث عنه بالمسألة. حتى تعتبر كل واحد من العيوب فتعرف هل هو عيب حاضر أو كـــان أو متوقـــع، أم الحال حال صحة وسلامة".

الثانى: مرحلة الفحص الدقيق:

وتعتمد هذه المرحلة على خطوات مترابطة وأكثـــر عمقـــا مـــن التحليل الظاهرى الذى تم فى المرحلة السابقة مثل:

- جس نبض المريض.
- تحليل المواد الخارجة من جسم المريض كالبول والبراز والصـــديد والدم.
- الفحص الباطنى لمعرفة ما قد يكون بداخل الجسم من أصوات لهـــا دلالة على أمراض معينة.
- مراقبة ما يطرأ- أو ما طرأ- على الجلد من تغييرات لها دلالاتهـــا المعروفة.
- غسيل المعدة واستخراج ما فيها للتعرف على سلامة الهضم والكبد والطحال.

ت. مرحلة وصف العلاج:

تعد مرحلة وصف العلاج هى المرحلة الأخيـــرة فـــى الدراســـة العملية الميدانية وكانت تتم فى صورة الخطوات التالية:

أولاً: يأمر الأستاذ طلابه أن يصف كل منهم ما يراه مناسبا لعلاج الحالة. فإذا أصاب أحدهم أقره وإذا أخطأ طلب من زملائه أن يصححوا له الخطأ.

ثانياً: ربما تشاور الأستاذ مع كبار الأطباء من مرافقين الذين انتهوا من مرحلة الطلب فى وصف العلاج.

ثالثاً: يقوم الأستاذ بوصف ما يستقر عليه رأيه من علاج سواء أكان هذا العلاج أدوية مفردة أو مركبة أو يقرر إجراء مزيد من التحاليل أو يقرر إجراء جراحة. وخلال ذلك يوضح لطلابه أسباب أخطائهم والأسباب التى بنى عليها قراره النهائى.

وفى ترجمة الطبيب رشيد الدين أو حليقة الذى كان معاصرا وصديقا لابن أبى أصبيعة صورة من صور دقة العلاج الذى توصل إليه الأطباء فى ذلك العصر فى مواجهة أمراض حصوة المثانة أو الكلى أو مجرى البول وأمراض الشلل النصفى (الفلج) وفيما يلى نماذج من ترجمته تبين دقته فى التشخيص:

من ذلك أنه مرضت دار من بعض الأدر السلطانية بالعباسية، كان من سيرته معه أن لا يشرك معه طبيبا فى مداواته وفى مداواة من يعز عليه من دوره وأولاده، فباشر مداواة المريضة المذكورة أياما قلائل،

ثم حصل له شغل ضروري الجاه إلى ترك المريضة ، ودخل القاهرة وأقام بها ثمانية عشر يوما.

ثم خرج إلى العباسية فوجد المريضة قد تولى مداواتها الأطباء الذين فى الخدمة.

فلما حضر وباشر معهم قالوا له: هذه المريضة تموت والمصلحة أن تعلم السلطان بذلك قبل أن يفاجئه أمرها بغته. فقال لهم: إن هذه المريضة عندى ما هى فى مرضة الموت، وإنها تعافى بمشيئة الله تعالى من هذه المرضة.

فقال له أحدهم، وهو أكبرهم سنا، وكان الحكيم المذكور شابا: إننى أكبر منك، وقد باشرت من المرضى أكثر منك فتوافقنى على كتابة هذه الرقعة؟ فلم يوافقة. فقالت جماعة الحكماء لابد لنا من المطالعة فقال لهم: إن كان لابد لكم من المطالعة فيكون بأسمائكم من دونى.

فكتب إليه الأطباء بموتها فسير إليهم رسولا ومعه نجار ليعمل لها تابوتا تحمل فيه.

ولما وصل الرسول والنجار معه إلى الباب، والأطباء جلوس، قال له الحكيم المذكور: ما هذا النجار؟ قال: يعمل تابوتا لمريضتكم. فقال له: تضعونها فيه وهى فى الحياة؟ فقال الرسول: لا ، لكن بعد موتها.

قال له: ترجع هذا النجار وتقول للسلطان عنى خاصة أنها فـــى هذه المرضة لا تموت. فرجع وأخبره بذلك.

فلما كان الليل استدعاه السلطان بخادم وشمعة وورقـــة بخطـــة يقول فيها: ولد الفارس يحضر إلينا، لأنه لم يكن بعد سمى أبا حليقـــة، وإنما سماه بذلك فيما بعد السلطان الملك الكامل، فإنه كان فى بعـــض الأيام جالسا مع الأطباء على الباب، فقال السلطان للخادم فى أول مـــرة أطلب الحكيم، فقال له ياخوند أى الحكماء هو؟ فقال له أبـــو حليقـــة. فأشتهر بين الناس بهذا الاسم من ذلك اليوم إلى حيث غطى نعته ونعت عمه الذى كانوا يعرفون به ببنى شاكر.

فلما وصل إليه قال: أنت منعت عمل التابوت؟ فقال: نعم. قـــال: بأى دليل ظهر لك هذا من دن الأطباء كلهم؟ قال له: يامولانا، لمعرفتى مزاجها وبأوقات مرضها على التحرير من دونهم، وليس عليها بـــأس فى هذه المرضة. فقال له: أمض وطبها واجعل بالك لها.

فطب المذكورة وعوفيت. ثم أخرجها السلطان وزوجهـــا وولـــدت من زوجها أولاد كثيرين.

ومن جملة ما تم أيضا له أنه حكم معرفة نبض الملك الكامل حتى أنه فى بعض الأيام خرج إليه من خلف الستارة مـــع الأدر المرضـــى فرأى نبض الجميع ووصف لهم.

فلما انتهى إلى نبضه عرفه فقال هذا نبض مولانـــا الســـلطان، وهو صحيح بحمد الله، فتعجب منه غاية العجب وزاد تمكنه عنده.

ومن حكاياته معه: أنه أمره بعمل الترياق الفاروق فاشتغل بعمله مدة طويلة، ساهرا عليه الليل حتى حقق كل واحد من مفرداته اســـما على مسمى بشهادة أئمة الصناعة أبقراط وجالينوس.

وفى غضون ذلك حصل للسلطان نزلة على أسنانه فأفصد بسببها وهو يبركه الفيل يتفرج بها، فطلع إلى القلعة وتولى مداواتـــه الأســـعد الطبيب بن أبى الحسن، بسبب شغل المذكور بعمل الترياق.

فعالجه الأسعد مدة والحال كلما مر اشتد، فشكا ذلك للأسعد فقال له ما بقى قدامى إلا الفصد.

فقال له: أفصد مرة أخرى، ولى عن الفصد ثلاثة أيام، اطلبوا لى أبا حليقة. فحضر إليه وشكا له حاله، وأعلمه أن ذلك الطبيب قد أشار عليه بالفصد واستشاره فيه أو فى شرب دواء، فقال: يا مولانا بـــدنك بحمد الله نقى، والأمر أيسر من هذا كله، فقال له السلطان: إيش تقول لى أيسر، وأنا فى شدة عظيمة من هذا الألم لا أنـــام الليـــل، ولا أقـــر النهار. فقال له: يتسوك مولانا من الترياق الذى حمله المملوك فى

البرنية الفضة الصغيرة، وترى بإذن الله العجب. وخرج إلى الباب، ولم يشعر إلا بورقة بخط السلطان قد خرجت إليه، وهو يقول فيها يا حكيم، استعملت ما ذكرته فزال جميع ما بى لوقته، وكان ذلك بحضور الأسعد الطبيب الذى كان يعالجه أولا.

فقال له: ونحن ما نصلح لمداواة الملوك، ولا يصلح لمداواتهم إلى أنتم. ثم دخل الملك الكامل إلى خزانته، وبعث إليه منها خلعاً سنية وذهباً متوفراً.

ومن حكاياته: أنه لما طال عليه عمل الترياق الفاروق، لتعذر حضور أدويته الصحيحة من الآفاق، عمل ترياقا مختصرا توجد أدويته فى كل مكان. ونوى انه لا يقصد به قربا من ملك، ولا طلب مال ولا جاها فى الدنيا، ولا يقصد به إلى التقرب إلى الله بنفع خلقة أجمعين، والشفقة على سائر العالمين، وبذله للمرضى فكان يخلص به المفلوجين، ويقوم به الأيدى المتقوسة لوقته وساعته بحيث كان ينشئ فى العصب زيادة فى الحرارة الغريزية، وتقوية وإذابة البلغم الذى فيه فيجد المريض الراحة به لوقته، ويسكن وجع القولنج من بعد الاستفراغ، لوقته. وأنه مر على بواب الباب الذى بين السورين بالقاهرة المحروسة، وهو رجل يعرف بعلى، وهو ملقى على ظهره لا

يقدر أن ينتصب من جنب إلى جنب، فشكا عليه حاله فأعطاه منه شربه، وطلع القلعة وباشر المرضى وعاد فى الساعة الثالثة من النهار، فقام المفلوج يعدو فى ركابه يدعو له. فقال له: اقعد، فقال: يا مولانا قد شبعت قعودا خلينى أتملى بنفسى.

ومن حكاياته: أن الملك الكامل كان عنده مؤذن يعرف بأمين الدين جعفر، حصل له حصاه سدت مجرى البول، وقاسى من ذلك شدة أشرف فيها على الموت، فكتب إلى الملك الكامل وأعلمه بحاله، وطلب منه دستورا يمشى إلى بيته يتداوى، فلما حضر إلى بيته أحضر أطباء العصر، فوصف كل مهم له وما وصف فلم ينجح. فاستدعى الحكيم أبا حليقة المذكور، فأعطاه شربة من ذلك الترياق. فبمقدار ما وصلت إلى معدته نفذت قوتها إلى موضع الحصاة ففتتتها وخرجت من الأراقة، وهى مصبوغى بالدواء، وخلص لوقته، وخرج لخدمة سلطانه، وأذن آذان الظهر.

وكان السلطان يومئذ مخيما على جيزة القاهرة، فلما سمع صوته أمر بإحضاره إليه، فلما حضر قال له ما ورقتك؟ بالأمس وصلتنا، وأنت تقول أنك كنت على الموت فأخبرونى أمرك.

فقال: يا مولانا الأمر كان كذلك، لولا لحقنى مملوك مولانا الحكيم أبو حليقة، فأعطانى ترياقا خلصت به للوقت والحال.

واتفق أن فى ذلك اليوم جلس إنسان ليريق ماء فنهشته أفعى فى ذكره فقتلته، فلما سمع السلطان يخبره رق عليه لأنـــه كـــان رؤوفـــا بالخلق. ثم دخل إلى قلعة القاهرة بات بها، وأصبح من باكر والحكـــيم المذكور قاعد فى الخدمة عند زمام الدار على الباب. والســـلطان قـــد خرج فوقف واستدعاه إليه، وقال له: يا حكيم أيش هذا الترياق الـــذى عملته، واشتهر نفعه للناس هذه الشهرة العظيمة، ولم تعلمنى به قط؟ فقال: يا مولانا، المملوك لا يعمل شيئا إلى لمولانا، وما ســـبب تـــأخير إعلامه إلا ليجربه المملوك لأنه هو الذى أنشأه فإذا صحت له تجربتـــه ذكره لمولانا على ثقة منه، وإذا قد صح هـــذا لمولانـــا، فقـــد حصـــل المقصود فقال له: تمضى وتحضر لى كلما عندك منه.

وترك خادما قاعدا على الباب فى انتظاره، ورجع إلى داره كأنـــه لم يطلع القلعة فى تلك الليلة، ولا خرج من الدار فى تلـــك الســـاعة إلا لهذا المهم خاصة. فمضى الحكيم المذكور إلى داره فوجده عنـــده مـــن ذلك الترياق شيئا يسيرا، لأن الخلق كانت تفنية مما تطلبه منه فمضى إلى أصدقائه الذين كان أهدى لهم منه شيئا، وجمع منه مقـــدار أحـــد عشر درهما ووعدهم بأنه يعطيهم عوضا عنه أضعافا، فجعله فى رنية فضية صغيرة وكتب عليه منافعة ومقدار الشربة منه وحملها إلى

الخادم المذكور القاعد فى انتظاره فحملها إلى السلطان ولم يــزل حافظا لها، فلما آلته أسنانه دلكه عليها فحصل له منه من الراحة مــا ذكر.

ومن حكاياته معه: أنه كان قد عرض لبعض جهاته مرض عجز عن مداواته، فسيرت تلك الجهة تقول له أنا أعرف أن الســلطان لــو عرف أن فى الديار المصرية طبيبا خيرا منك لما ســلم نفســه وأولاده إليك من دون كافة الأطباء، فأنت ما تؤتى فى مداواتى من قلة معرفــة بل من التهاون بأمرى بدليل أنك تمرض فتداوى نفسك فى أيام يســيره وكذلك يمرض أحد أولادك فتداويه فى أيام يسيرة أيضا، وكــذلك بقيــة الجهات التى عندنا ما منهم إلا من تداويه وتنجح مداواتك بأيسر سعى. فقال لها: ما كل الأمراض تقبل المداواه لما مات أحد.

فلم تسمع فلم لى أطباء مــن دمشــق، فاســتخدم لــه طبيبــين نصرانيين فما حضرا لمداواتها من دمشق اتفق ســفر الســلطان إلــى دمياط، فأستوذن من يمضى معه من الأطباء ومن يترك، فقال الأطبــاء كلهم يبقون فى خدمة تلك الجهة، والحكيم فلان وحده يكون معى. فأما أولئك الأطباء فإنهم عالجوها بكل ما يقدرون عليه، وتعبوا فى مداواتها فلم ينجح فانبسط فى ذلك عذر المذكور، وأورد ما ذكــر أبقــراط فــى تقدمه المعرفة.

ثم أنه لما سافر مع السلطان بقى فى خدمته مدة شهر لم يتفق له أن يستدعيه، وبعد ذلك بدمياط استدعاه ليلا فحضر بين يديـــه فوجـــده محموما، ووجد به أعراضا مختلفة يباين بعضـــها بعضـــاً فركـــب لـــه مشروبا يوافق تلك الأعراض المختلفة، وحمله إليه فى السحر فلم تغب الشمس إلا وقد زال جميع ما كان يشكوه، فحسن ذلك عنده جدا.

ولم يزل ملازما لاستعمال ذلـــك التـــدبير إلـــى أن وصـــل إلـــى الإسكندرية، واتفق أول يوم من صيام شهر رمضان إن الحكيم المذكور مرض بها، فحضر إليه الأطباء الذين فى الخدمـــة واستشـــاروه فيمـــا يحملون إلى السلطان يفطر عليه، فقال لهم: عنده مشروب قـــد جربـــه وهو يثنى عليه ويطلبه دائما، فما دام لا يشكوا لكم شيئا متجددا يمنـــع من استعماله فاحملوه إليه، وإن تجدد لكم شئ فاستعملوا ما تقتضـــيه المصلحة الحاضرة.

فمضوا ولم يقبلوا منه قصدا منهم أن يجددوا تدبيرا من جهتهم، فلما جددوا ذلك التدبير تغير عليه مزاجه، فاستدعاهم واستدعى نسخة الحكيم المذكور، وأخذ يحاققهم عليها، فكان من جمله مـــا فيهـــا بـــرز هنديا، وقد حذفوه فقال لهم لماذا حذفتم هذا البرز وهو مقو للكبد منق

للعروق، قاطع للعطش؟ فقال أحد الأطباء الذين حضروا: والله ما للمماليك فى حذفه ذنب، إلا أن الأسعد بن أبى الحسن نقل فى بزر الهندبا نقلا شاذا بأنه يضر بالطحال، المملوك والله ما يعرفه، وزعم بإعادة بزر الهندبا إلى مكانة.

ثم حاققهم على منفعة دواء من مفردات ذلك المشروب التى حذفوها إلى أن أعادوها وأعاد استعماله دائما ولم يزل منتفعا به شاكراً له.

مبادئ عامة في التدريس العملى:

من استقراء الترجمات المختلفة فى الكتاب يمكن استنتاج بعض الملاحظات العامة التى يمكن تسميتها بـ «مبادئ التدريس العملى للطلب» باعتبار التدريس العملى يتضمن العلاج كفعالية أساسية من فعاليات التعليم والتعلم:

- استخدام لغة أجنبية فى التداول بين الأطباء فقد ورد أكثر من مرة فى تراجم مختلفة من الكتاب أن الكتب الطبية وبخاصة كتب أبقراط وجالينوس لم تكن مترجمة. كما تكررت الإشارة إلى أن التفاهم ربما كان يتم باللسان اليونانى أو الإغريقى. ولعل هذا الاتجاه يمكن

تفسيره بعدم الرغبة فى إيقاف المريض على أسرار حالته المرضية حتى لا تتدهور بما قد ينتابه من انفعالات.

- تدوين البيانات الخاصة بشخص المريض وعمره وتاريخ مرضه وأعراضه وأثر الوراثة- إن وجد- فى مرضه.
- مراقبة المريض لعدة أيام وخصوصا بعد وصف الدواء وتسجيل ما يطرأ عليه من تغييرات أولا بأول.
- عدم اللجوء إلى الأدوية المركبة (أى المحضرة فى صورة مشروبات أو أقراص أو مراهم أو مساحيق.. الخ) إلا بعد انعدام الأمل فى العلاج بأدوية مفردة (كالاعتماد على نبات معين أثبتت التجارب فعاليته أو وصف طعام معين يفيد فى علاج الحالة).
- عدم اللجوء إلى الجراحة إلا عند الضرورة القصوى.
- التركيز على الحالة النفسية للمريض ورفع معنوياته أمر أساسى كما ينبغى الاهتمام به.

ومن أقوال الرازى التى يمكن أن تعبر عن بعض المبادئ السابقة ما يلى:

"ينبغى للطبيب أن يوهم المريض أبدا الصحة ويرجيه بهـــا، وإن كانت غير واثق بذلك، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس".

وقال الأطباء: الأميون والمقلدون، والأحداث الذين لا تجربه لهم، ومن قلت عنايته وكثرت شهواته، قتالون.

وقال: ينبغى للطبيب أن لا يدع مساءلة المريض عن كل ما يمكن أن تتولد عنه علته من داخل ومن خارج، ثم يقضى بالأقوى.

وقال: ينبغى للمريض أن يقتصر على واحد ممن يوثق به، مـــن الأطباء فخطؤه فى جنب صوابه يسير جدا.

وقال: من تطيب عند كثيرين من الأطباء يوشك أن يقع فى خطـــأ كل واحد منهم.

وقال: متى كان اقتصار الطبيـــب علـــى التجـــارب دون القيـــاس وقراءة الكتب خذل.

وقال: لا ينبغى أن يوثق بالحسن العناية فى الطـــب حتـــى يبلـــغ الأشد ويجرب.

وقال: ينبغى أن تكون حالة الطبيب معتدلة، لا مقبلا على الـــدنيا كلية، ولا معرضا عن الآخرة كلية، فيكون بين الرغبة والرهبة.

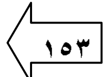
وقال: بانتقال الكواكب الثابتة فى الطول والعرض تنتقل الأخلاق والمزاجات.

وقال: باختلاف عروض البلدان تختلف المزاجات والأخلاق والعادات وطباع الأدوية والأغذية، حتى يكون ما فى الدرجة الثانية من الأدوية فى الرابعة، وما فى الرابعة فى الثانية.

وقال: إن استطاع الحكيم أن يعالج بالأغذية دون الأدوية فقد وافق السعادة.

وقال: ما اجتمع الأطباء عليه، وشهد عليه القياس، وعضدته التجربة فليكن أمامك وبالضد.

النتائج والتوصيات



النتائج والتوصيات

من خلال الدراسة التحليلية لكتاب «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبى أصيبعة أمكن التوصل إلى ما يلى:

- ❖ أن من الممكن الاعتماد على هذا الكتاب للتأريخ لتعليم الطب في الدولة الإسلامية بعامة، وفى عصر الأيوبيين والمماليك بخاصة.
- ❖ كانت الإسكندرية قد عرفت نمطاً متقدماً فى التعليم الطبى قبل ظهور الإسلام ودخوله إلى مصر تمثل فى:

أ. تقسيم مراحل الدراسة إلى سبع مراحل متدرجة تنتهى بالترخيص بمزاولة المهنة.

ب. البدء بدراسة العلوم الممهدة كالتشريح والنبات والكيمياء والعقاقير، وهو ما عليه الحال حتى الآن فى الجامعات الحديثة.

ت. ترجمة الأصول اليونانية ووضع شروح لها واعتمادها مراجع للدراسة ووضع مؤلفات أحدث تعتمد على ما فى تلك الأصول من قواعد، كما فعلوا مع كتب جالينوس.

ث. وجود نوع من «التقويم» أو الاختبار قبل تخريج الطب.

كانت المقررات التى تتضمنها المناهج الدراسية تشمل: الكيمياء- العقاقير- وظائف الأعضاء- التشريح- النبات- الحيوان- علم الأمراض- الجراحة.

- ❖ كانت طريقتا التدريس الشائعتان فى تعليم الطب هما: طريقة التدريس النظرى، وطريقة التدريب العملى، وكان التدريس النظرى يتم فى مجالس تعليم وفق فنيات مختلفة أشهرها: الإملاء- القراءة- العرض- التلقين- الشرح- المناظرة، وكان التدريس العملى يتم أحياناً فى مجالس تعليمية وأحياناً حول سرر المرضى وفق فنيات مختلفة اشهرها: التشخيص- وصف العلاج بواسطة الطلاب- الفحص العام- الفحص التخصصى الدقيق.

- ❖ عرف التعليم الطبى مبادئ متقدمة فى التشخيص والعلاج والجراحة كالتشخيص بدلالة النبض، أو تحليل السوائل الخارجة من الجسم وغيرها، كما عرف العلاج بالأعشاب، والمساحق والحبوب والأشربة والحقن والمراهم، وعرف الجراحة العامة وبعض أنواع الجراحة الخاصة.

توصل البحث إلى ما يمكن اعتباره المبادئ العامة لتدريس الطب نظرياً وعملياً وهى:

أ. أن المعلم ركن أساسى فى عملية التعليم للأسباب التالية:

- أنه قد يشرح اللفظ الغامض أو الفكـرة الغامضـة إذا وردت فـى الكتاب.
- أن المعلم يعالج ما قد يكون فى الكتاب مـن أخطـاء علميـة أو طباعية.
- أن التفاعل الإنسانى بين المعلم والمتعلم يسهل عملية التعليم.

ب. أن الإدراك فى حالة التعليم من الكتاب إدراك بصرى فقط، أما فـى حالة التعليم من المعلم فإن أكثر من حاسة تشترك فى عملية التعليم مما يجعل الإدراك أسهل وأشمل.

ت. أن لكل علم أسراره ومصطلحاته الفنيـة الدقيقـة، وهـذا يجعـل الاعتماد على المعلم ضرورياً لضمان التحصيل السليم.

❖ كان لاتساع الترجمة أثر كبير فى تقدم تعليم الطب وبخاصـة فـى عهد الدولة العباسية، وكان بعض المترجمين المتميزين يجيد أربع لغات ويترجم منها وإليها كما هو الحال عند حنين بن اسحق.

كان احتراف الطب ممارسة وتعليماً وسيلة مـــن وســـائل التـــدرج الطبقى فى المجتمع كان إتقان الطب وسيلة مـــن وســـائل تحقيـــق الثروة والمكانة الاجتماعية.

- إن دراسة تاريخ تعليم الطب تشير إلى تقدم العـــرب فـــى ميـــادين الصناعة الدوائية حيث استخرج العرب مـــن الأعشـــاب والنباتـــات علاجاً لمعظم الأمراض، كما توصلوا إلى علاج أمراض مستعصـــية كحصوات المثانة والحالب والشلل النصفى والصداع النصفى.

- إدراك كثير من الأطباء دور الجانب النفسى فى العلاج ومـــن ثـــم أولوه عناية كبرى كما هو الحال عند الرازى، ويمكن أن يكون ذلك مدخلاً لدراسات أكثر تعمقاً فى هذا الجانب.

- ترك العرب ذخيرة ضخمة من المؤلفات الطبية مـــا يـــزال أكثرهـــا مخطوطاً حتى هذه اللحظة وكتاب ابن أبـــى أصـــيبعة يضـــم آلاف العناوين التى يمكن الاسترشاد بها إلى جانب الكتب المماثلة بهدف تحديد مواقع وجود هذه المخطوطات حالياً، وقد أشـــارت الدراســـة إلى نموذج واحد للمخطوطات العربية الطبية الموجودة فى المكتبة الوطنية فى باريس حالياً.

توصيات البحث

فى ضوء نتائج هذا البحث يوصى الباحث بما يلى:

أولاً: أهمية التعرف على المخطوطات العربية الموجودة فى مكتبات العالم وإعداد قوائم بها والعمل على نشرها وتحقيقها ويمكن فى سبيل ذلك إعداد دراسات تمهيدية تجمع أسماء هذه المخطوطات من كتب الفهرسة القديمة والحديثة.

ثانياً:إن ما توصل إليه العرب من تسمية جميع أعضاء الجسم والأمراض التى تعرض لها، وأعراض الأمراض، وطرق علاجها، كل ذلك يمكن أن يستفاد منه -إذا ما درس درساً عميقاً- فى تحقيق الدعوة إلى تعريب التعليم الطبى.

ثالثاً:إن تعريب التعليم الطبى ينبغى أن يكون الآن موضع اهتمام علماء الطب واللغة والتربية لا لأسباب قومية خطابية، ولا لإثبات قدرة اللغة العربية، ولكن لتسهيل نشر الثقافة الصحية فى هذا العصر الذى تزداد فيه فرص التلوث البيئى والضوضاء والفوضى الإشعاعية مما يجعل الثقافة الطبية تكاد تصبح ضرورة حياة لكل أسرة.

رابعاً:ينبغى لوسائل الإعلام أن تهتم بإلقاء الضوء على العلماء العرب البارزين فى مجالات العلوم الطبيعية والحيوية والبحتة وعدم الاكتفاء بالصور السطحية الساذجة التى يظهر بها هؤلاء الإعلام فى الإعلام المعاصر.

خامساً:ينبغى للتربويين أن يعطوا الترجمة من اللغات الأجنبية قدراً من اهتمامهم بحيث تصبح الترجمة بذاتها عملاً علمياً يستحق التقدير بوصفها سبيلاً لترقية الفك التربوى وتطويره.

سادساً: ينبغى توجيه البحث التربوى التاريخى نحو مزيد من الدراسات فى مجال تاريخ تعليم كل من الفقه والنحو وأصول الفقه، والحديث الشريف، والتفسير والفلسفة، وعلم الكلام إلى جانب دراسات أخرى فى مجال التاريخ والجغرافيا والأدب العربى للتعرف على طرق التدريس ومراحل الدراسة وظروف المعلمين والطلاب من أجل إعداد «تاريخ قومى للتربية العربية الإسلامية» أكثر عمقاً مما هو متاح حالياً من كتابات.

سابعاً:ينبغى الالتفات إلى ما فى كتب «الطبقات والتراجم» من قيمة علمية ثانوية من حيث التأريخ للتربية، ومن ثم يوصى الباحث بدراسات موازية فى كتب مثل وفيات الأعيان، تراجم الحكماء، طبقات المفسرين، سير أعلام النبلاء، تذكرة الحفاظ... وغيرها.

المصادر والمراجع

المصارد والمراجع

أولاً: المصادر القديمة:

- ابن أبى اصيبعة، عيون الأنباء فى طبقات الأطبـــاء، تحقيــق نــزار رضـــا، بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.
- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقـــاهرة، م٧، القـــاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، د.ت.
- ، المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، ج١، تحقيق محمد محمـــد أمـــين وسعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.
- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عبـــاس، م٦، بيروت: دار صادر، د.ت.
- ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب فى أخبار من ذهـــب، ج٥، بيـــروت: دار الفكر، د.ت.
- ابن كثير، البداية والنهاية، ط٦، مجلـــد ١٣، بيـــروت: مكتبـــة المعـــارف، ١٩٨٥.

ثانياً: مراجع حديثة:

- أحمد أحمد بدوى، الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية، القـــاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٧٢.
- ـــــ، الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية، القاهرة: دار نهضة مصـــر، ١٩٧٩.
- أحمد شوكت الشطى، الطب عند العـــرب، القـــاهرة: مؤسســـة المطبوعـــات الحديثة، د.ت.
- جماعة من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية، م١، ترجمـــة إبـــراهيم خورشيد وآخرين، القاهرة: دار الشعب، د.ت.

جورجى زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج٣ـ بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٨٣.

- خير الدين الزركلى، الإعلام، ط٧، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٦.
- سعيد إسماعيل على، تاريخ التربية والتعليم، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٥.
- سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٢.
- شوقى ضيف، عصر الدول والإمارات، سلسلة تاريخ الأدب العربى (٦)، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤.
- عبد الحليم منتصر، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠.
- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج٢، بيروت: دار إحياء التراث العربى، د.ت.
- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربى، ج٦، ترجمة السيد يعقوب بكر، القاهرة: دار المعارف ١٩٨٤.
- محمد الطناحى، الموجز فى التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم، القاهرة: مكتبة الخانجى، ١٩٨٥.

ثالثاً: مقالات:

- عبد الصبور شاهين، "ابن أبى اصيبعة وأثره التربوى" فى المجلد الثالث من أعلام التربية العربية الإسلامية، الرياض: مكتبة التربية العربى لدول الخليج، ١٩٨٨.
- محمد إبراهيم النملة، "مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين"، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الرابع، فبراير ١٩٩١.
- نافع توفيق العبود، "من تاريخ الترجمة عند العرب"، مجلة المؤرخ العربى، العدد العاشر، ١٩٧٩.